شجرة القمر

www.books4all.net

ملاحظات

حول قصائد هذا الديوان

- ١ -

حول « شجرة القمر »

أصل هذه القصيدة أن بنت عمتي الصغيرة ميسون كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ في غرفتي ، فألحت عليّ أن أقصّ عليها قصة . وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المرهفة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهي جالسة إلى جواري تنظر إليّ في شغف

فما انصرمت الظهيرة إلا وقد انجزت الصفحات الأولى من القصيدة .

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة انكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩ وأذكر من ظروف قراءتي لها انني وقعت عليها في مجموعة شعرية للأطفال من كتب صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها في ضهور الشوير ذلك الصيف . فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية فيها واختزنتها في ذاكرتي إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات. وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة . وأصلها الانكليزي قصير قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم . فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العاري لا غير . أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لي . وكم يؤسفني انني لا أعرف حتى عنوان الكتاب الذي قرأت فيه المقطوعة، ولا أعرف اسم الناظم . والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت إلى انكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عني أخبارها.

ويرجع سبب اختياري للحكاية انني وجدت فيها

بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن في الوقت نفسه أن أحمّلها رموزا شعرية عالية بحيث يقرأها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه . ولعله لا يخفي أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر « أو الفنان » ، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها ، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه . حتى إذا فعل ذلك كما تمنى ، وتخيّل أنه حقق سعادته ، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده ، فهي لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره . وتكون ثورة الرعاة والصيّادين رمزاً للحقّ العام في القمر ، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الاسير فان ذلك لا يتمّ إلا بخدعة يرتكبها الغلام ، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر ، لأن ثمرها المتدلي من أغصانها ليس إلا أقماراً فضيّة متألقة.وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنّه فاذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله، فان في وسع الفنان الذي يحب

ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور . وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود ويكتفي بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر . ومن الطبيعيّ أن تكون هذه الشجرة غذاء روحياً للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه للجمال .

ولكن هل استوعبت ميسون الصغيرة، في عمرها الغضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي لها ؟ طبعاً ، لا . وإنما أحبتها لأنهـــا حكاية القمر والشجرة التي تثمر أقماراً ، ولأنها حكاية غلام شاعريّ النزعة ، روحاني الاتجاهات ، يأكل ضوء النجوم بدل الغذاء ويشرب العطر ويطارد الفراشات . وذلك هو المستوى الظاهري للقصيدة . وفي وسع أيّ قارىء أن يكتفي به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها .

وقد اخترت لقصيدتي مسرحاً شعريّاً التقطته من ذكرياتي عن جبالنا السحرية في شمال العراق . ومن الحق أن أقول إنني زرت في حياتي جبالاً كثيرة في

تركيا وايطاليا ولبنان وفلسطين والأردن فلم أر جبالاً لها من السحر والروعة ما يضارع جبال الشمال عندنا. فان الجمال هناك يأسر روحي حتى أغيب في سكرة شعورية كلما زرت لواء أربيل وتوغلت في مضايقه ووديانه . وأنا إنما أصوّر هذه الجبال في قصيدة « شجرة القمر » وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها .

- ٢ -

حول « البعث »

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على اسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض العربيّ ، فشطرت البيت إلى شطريه وان كان أغلب أبياتها مدوّراً . وأيّ قارىء قد اطّلع على ديواني «قرارة الموجة» وعلى الطبعة الثانية من «عاشقة الليل» و « شظايا ورماد » سيلاحظ انني قد خالفت خطتي

في كتابة البحر الخفيف فقد كتبته في تلك الدواوين دونما مراعاة للوقفة العروضيّة وإنما راعيت في الكتابة المعنى وحـــده . ومن ثم فان قصيدة (حصاد المصادفات) قد كتبت كما يلي :

حينما يرقد الهوى ميّتاً
فوق تراب الأيّام والأعوام
وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع
لعهد مغلّف بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة – خاصة للقارىء الذي لا يحسّ الوزن – وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور مع انها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا :

حينما يرقـــد الهوى ميّتاً فو
ق تراب الأيّـــام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوق
ـع لعهـــدٍ مغلّفٍ بالظلامِ

والسبب البسيط كل البساطة الذي دفعني إلى أن أكتب البحر الخفيف بهذا الشكل في دواويني السابقة ان تلك الدواوين طبعت في حجم صغير لا يزيد عن حجم الكفّ فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح البيت المدوّر من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف. وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندي مدوّرة ، وأدركت ان عليّ أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم في شطر ، استثقلت هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن. وقد قدّرت ان القارىء الذي يقرأ شعري لا بدّ ان يكون قادراً على إدراك موضع الوقفة العروضيّة . وهكذا دفعتني الملابسات الماديّة للطبعة إلى أدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها . وقد كان يعزيني في ذلك ان الوزن لا يتغير مهما كان الشكل الذي نختاره لكتابته حتى لو كتبناه كما نكتب النثر ، فهو موزون على كل حال

وعند ذاك ، في سنة ١٩٥٧ ، لم يكن يدور في

خلدي أن أناساً من الشعراء سيتخذون عملي الاضطراري سنّة يحتذونها في منشوراتهم الشعرية ودواوينهم. ولكم جزعتُ عندما صرتُ أرى في المجلات قصائد موزونة على الشكل العربيّ وزناً تاماً ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر. وقد جمعتني مجالس غير قليلة بأدباء وقرّاء يقرأون هذه القصائد الجارية على الوزن العربي كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور.

ومهما يكن من أمر فيهمني أن أدرج قصيدة البحر الخفيف في هـــذا الديوان على الشكل العربي الدارج منتهزة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائي الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على الأسلوب العربي ثم يدرجونه وكأنّه شعر حر. فإن هذا العمل لا يزيد القارىء العربي إلا بلبلة وجهلاً في وقت نحب فيه أن ننشىء ثقافة شعرية رصينة نضيء بها طريق الأمة العربية.

- ٣ -

حول « الشعر الحرّ »

يلاحظ ان في هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحرّ وقد يعجب بعض القرّاء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان لأنهم ألفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً وكأنهم أعداء لها وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحرّ وحده في تعصّب وعناد . وأحبّ أن أذكّر القارىء في هذه التقدمة أنني لم أدعُ يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحرّ ، وأبرز دليل على هذا ديواناي السابقان . أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذي دعوت في مقدمته إلى الشعر الحرّ دعوة متحمسة فلم تكن فيه إلا عشر قصائد حرّة بينما كانت القصائد الأخرى جميعاً تنتمي إلى الأوزان

الشطرية . وأما (قرارة الموجة) ديواني الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحرّ . ولا أذكر قط انني اقتصرت على الشعر الحرّ في أية فترة من حياتي . وسبب هذا انني أولاً أحب الشعر العربيّ ولا أطيق أن يبتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة . ثم أن الشعر الحرّ كما بينت في كتابي – قضايا الشعر المعاصر – يملك عيوباً واضحة أبرزها الرتابة والتدفـّق والمدى المحدود وقد ظهرت هذه العيوب في أغلب شعر شعراء هذا اللون . وهذا حاصل أيضاً في الشطرين فإن له مزايا وله عيوب .

واني لعلى يقين من أن تيار الشعر الحرّ سيتوقف في يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطريّة بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بها . وليس معنى هذا ان الشعر الحرّ سيموت وانما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصّب له ويترك الاوزان العربية الجميلة .

ومما أحبّ أن أعلن أسفي له انني في شعري الحرّ لم أعنَ عناية أكبر بالقافية فكنت أغيّر القافية سريعاً

وأتناول غيرها ، وهذا يضعف من الشعر الحر . لأنه يقوم على أبيـــات تتفاوت أطوال أشطرها وبذلك ينقص رنينها وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنىً ولم يغيّرها سريعاً لأضفى على الوزن موسيقى تمسكه وتمنعه من الانفلات . ولهذا بتّ أدعو إلى أن يرتكز الشعر الحرّ إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً ونحميه من ضعف الرنين وانفلات الشكل .

نازك الملائكة

البصرة
في ١٩٦٧/٣/٢٨

شجرة القمر

« قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت
في الحادية عشرة من عمرها »

– ١ –

على قمّـة من جبال الشمال كَسَـاها الصنوبرْ
وغلّـفهـــا أفُـقٌ مُخمليٌّ وجوٌّ مُعَنْبَرْ

* * *

وترسو الفراشاتُ عند ذُرَاها لتقضيْ المَسَـاءْ
وعنــد ينابيعها تستحمّ نجومُ السَمَـاءْ

* * *

هنالكَ كان يعيشُ غلامٌ بعيـدُ الخيـالْ
إذا جاعَ يأكلُ ضوءَ النجومِ ولونَ الجبالْ

* * *

ويشربُ عطْـرَ الصنوبرِ والياسمين الخَـضِـلْ
ويملأ أفكارَهُ من شَذَى الزنبقِ المُنْـفعلْ

* * *

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامض الذكرياتْ
وكان يطارد عطر الرُبَـى وصَـدَى الأغنياتْ

* * *

وكانت خلاصةُ أحلامِهِ أن يصيدَ القَـمَـرْ
ويودعَـهُ قفصاً من ندىً وشذىً وزَهَـرْ

* * *

وكان يقضّي المساءَ يحوك الشباكَ ويَحْلُمْ
يوسّدُهُ عُشبٌ باردٌ عند نبع مغمغِمْ

* * *

ويسْهَرُ يرمُقُ وادي المساء ووجْهَ القَمَرْ
وقد عكستْهُ مياهُ غديرٍ بَرُودٍ عَطِرْ

* * *

وما كان يغفو إذا لم يَمُرَّ الضياءُ اللذيذ
على شَفَتيهِ ويسقيهِ إغماءَ كأسِ نبيذْ

* * *

وما كان يشربُ من منبع المـــاء إلا إذا
أراق الهلالُ عليه غلائلَ سكرى الشَذَى

* * *

- ٢ -

وفي ذات صيفٍ تسلّل هذا الغلامُ مساءْ
خفيفَ الُخطى، عاريَ القدمين، مَشُوقَ الدماءْ

* * *

وسار وئيداً وئيداً إلى قمّةٍ شاهقه
وخبّأ هيكلَهُ في حِمَى دَوْحةٍ باسقه

* * *

وراح يعُدّ الثوانيْ بقلبٍ يدُقّ يدُقّ
وينتظرُ القَمَرَ العذْبَ والليلُ نشوانُ طَلْقُ

* * *

وفي لحظةٍ رَفَعَ الشَرْقُ أستارَهُ الُمعْتمه
ولاحَ الجبينُ اللجينيّ والفتنةُ الُملْهِمه

* * *

وكان قريباً ولم يَرَ صيّادَنا الباسمـــا
على التلِّ فانسابَ يذرَعُ أفْقَ الدُّجى حالما

* * *

... وطوّقَـهُ العاشقُ الجبليّ ومسّ جبينَهْ
وقبّلَ أهدابَـــهُ الذائباتِ شذىً وليونهْ

* * *

وعاد به : ببحارِ الضياءِ ، بكأس النعومهْ
بتلك الشفاهِ التي شَغَلتْ كل رؤيا قديمه

* * *

وأخفاه في كوخــــه لا يَمَلّ إليه النَظَرْ
أذلكَ حُلْمٌ ؟ وكيف وقد صاد .. صادَ القَمرْ ؟

* * *

وأرقَدَه في مهـــادٍ عبيريّـةِ الرّوْنقِ
وكلّلَهُ بالأغاني ، بعيْنيهِ ، بالزّنْبقِ

- ٣ -

وفي القريةِ الجبليّـةِ ، في حَلَقات السّمَرْ
وفي كلّ حقلٍ تَنَادَى المنادون: « أين القمر؟ »

* * *

« وأين أشعّتُهُ المُخْمليّةُ في مَرْجنا ؟ »
« وأين غلائلُهُ السُحُبيّة في حقلنا ؟ »

* * *

ونادت صبايا الجبالِ جميعاً « نُريدُ القَمَرْ ! »
فردّدتِ القُنَنُ السامقاتُ : « نُريدُ القَمَرْ »

* * *

« مسامِرُنا الذهبيّ وساقي صدى زَهْـرنا »
« وساكبُ عطر السنابِل والورد في شَعْـرنا »

* * *

« مُقَبّـلُ كلّ الجِراح وساقي شفاه الورودْ »
« وناقلُ شوقِ الفَـرَاشِ لينبوعِ ماءٍ بَروْدْ »

* * *

« يضيءُ الطريقَ إلى كلّ حُـلْمٍ بعيدِ القَـرَارْ »
« ويُنْـمي جدائلَـنا ويُـريقُ عليها النُـضَارْ »

* * *

« ومن أينَ تبرُدُ أهدابُـنا ان فَقَـدْنا القَـمَر ؟ »
« ومنذا يرقّـقُ ألحاننا ؟ من يغذّي السَـمَرْ ؟ »

* * *

ولحنُ الرعـاةِ تردّدَ في وحشةٍ مضنيهْ
فضجّتْ برَجْعِ النشيدِ العرائشُ والأوديه

* * *

وثاروا وساروا إلى حيثُ يسكُنُ ذاكَ الغُلامْ
ودقّوا على البابِ في ثورةٍ ولَظًى واضطرامْ

* * *

وجُنّوا جُنوناً ولم يَبْقَ فوق المَراقي حجَرْ
ولا صخرةٌ لم يُعيدا الصُراخَ : « نُريدُ القَمَرْ »

* * *

وطاف الصَدَى بجناحيْهِ حول الجبالِ وطارْ
إلى عَرَباتِ النجومِ وحيثُ ينامُ النّهارْ

* * *

وأشرَبَ من نارِهِ كلّ كأسٍ لزهرةِ فُلٍّ
وأيقَظَ كلّ عبيرٍ غريبٍ وقَطْرةِ طلّ

* * *

وجَمّعَ من سَكَراتِ الطبيعةِ صوتَ احتجاجْ
ترددَ عند عريش الغلامِ وراء السياجْ

* * *

وهزَّ السكونَ وصاحَ : «لماذا سَرَقْتَ القَمَرْ؟»
فجُنّ المَسَاءُ ونادى : « وأينَ خَبَأْتَ القَمَرْ ؟ »

— ٤ —

وفي الكوخِ كان الغلامُ يضُمّ الأسيرَ الضحوكْ
ويُمْطِرُهُ بالدموع ويَصْرُخُ: « لن يأخذوك؟»

* * *

وكان هُتَافُ الرّعاةِ يشُقّ اليهِ السكونْ
فيسقُطُ من روحه في هُوَى من أسىً وجنونْ

* * *

وراح يغنّي لملهِمه في جَوَى وانْفعالْ
ويخلطُ بالدَمْع والملح ترنيمَهُ للجمالْ

* * *

ولكنّ صوتَ الجماهيرِ زادَ جُنوناً وثوره
وعاد يقلِّبُ حلْمَ الغلامِ على حدٍّ شفره

* * *

ويهبطُ في سَمْعه كالرّصَاص ثقيلَ المرورْ
ويهدمُ ما شيّدتْهُ خيالاتُهُ من قصور

* * *

وأين سيهرُبُ ؟ أين يخبّىء هذا الجبينْ ؟
ويحميهِ من سَوْرة الشَوْق ِفي أعين الصائدين ؟

* * *

وفي أيّ شيء يلفّ أشعتَهُ يا سَمَاءْ
وأضواؤه تتحدّى المخابىءَ في كبرياءْ ؟

* * *

ومرّتْ دقائقُ منفعِلاتٌ وقلبُ الغُلامْ
تمزّقُهُ مُدْيَةُ الشكِّ في حَيْرةٍ وظلامْ

* * *

وجاء بفأسٍ وراح يشقّ الثَرَى في ضَجَرْ
ليدفِنَ هذا الأسيرَ الجميلَ ، وأينَ المفرْ ؟

* * *

وراحَ يودِّعهُ في اختناقٍ ويغسِلُ لونهْ
بأدمعِه ويصُبّ على حظِّهِ ألفَ لعنَهْ

- ٥ -

وحينَ استطاعَ الرُعاةُ المُلحّون هدْمَ الجدارْ
وتحطيمَ بوّابةِ الكوخ في تَعَبٍ وانبهارْ

* * *

تدفّقَ تيّارهم في هياجٍ عنيفٍ ونقمه
فماذا رأوا ؟ أيّ يأسٍ عميق وأيّة صَدْمَه !

* * *

فلا شيءَ في الكوخ غيرَ السكون وغيرَ الظُلَمْ
وأمّا الغُلامُ فقد نام مستَغْرَقاً في حُلُمْ

* * *

جدائلُهُ الشُقْرُ مُنْسدلاتٌ على كَتِفَيهِ
وطيفُ ابتسامٍ تلكّأ يَحلُمُ في شفتيهِ

* * *

ووجهٌ كأنَّ أبولونَ شرّبَهُ بالوضاءه
وإغفاءةٌ هي سرّ الصَفــاءِ ومعنى البراءه

* * *

وحار الرُعاةُ أيسرَقُ هذا البريءُ القَمَرْ ؟
ألم يُخطِئوا الإتّهام ترى ؟ ثمّ ... أينَ القَمَرْ ؟

* * *

وعادوا حَيارى لأكواخهم يسالونَ الظلامْ
عن القَمَر العبقريّ أتاهَ وراءَ الغَمامْ ؟

* * *

أم اختطفتْهُ السَعالى واخفتْهُ خلفَ الغيومْ
وراحتْ تكسّرُهُ لتغذّي ضياءَ النجومْ؟

* * *

أمِ ابتلعَ البحرُ جبهتَهُ البضّةَ الزنبقيّه؟
وأخفاهُ في قلعهِ من لآلىءَ بيضٍ نقيّه؟

* * *

أم الريحُ لم يُبْقِ طولُ التنقّلِ من خُفِّها
سوى مِزَقٍ خَلِقاتٍ فأخفتْهُ في كهفِها

* * *

لتَصْنَعَ خُفّينِ من جِلْدِهِ اللّين اللَبَنيّ
وأشرطةً من سَنـــاهُ لهيكلها الزنبقي

* * *

- ٦ -

وجاء الصباحُ بليلَ الُخطَى قمريّ البرُودْ
يتوّجُ جَبْهَتَهُ الغَسَقيَّةَ عِقْدُ وُرودْ

* * *

يجوبُ الفضاءَ وفي كفّه دورقٌ من جَمالْ
يرُشّ الندى والبُرُودةَ والضوءَ فوق الجبالْ

* * *

ومرَّ على طَرَفيْ قدَميْه بكوخ الغُلامْ
ورشَّ عليه الضياءَ وقَطْرَ النَدى والسَّلامْ

* * *

وراح يسيرُ لينجز أعمالَهُ في السُفُوحْ
يوزّعُ ألوانَهُ ويُشِيعُ الرِضى والوضوحْ

* * *

وهبْ الغلامُ من النوم منتعشاً في انتشاءْ
فماذا رأى ؟ يا نَدَى! يا شَذَى! يا رؤى ! يا سماءْ !

* * *

هنالكَ في الساحةِ الطُحْلُبيَّةِ، حيثُ الصباحْ
تعوَّدَ ألاَّ يَرَى غيرَ عُشْبٍ رَعَتْهُ الرياحْ

* * *

هنالكَ كانت تقومُ وتمتدّ في الجوّ سِدْرَه
جدائلُها كُسِيَتْ خُضْرةً خِصْبةَ اللون ثَرَّه

* * *

رعاها المساءُ وغذَّت شذاها شِفاه القَمَرْ
وأرضَعَها ضوؤه المختفي في الترابِ العَطِرْ

* * *

وأشربَ أغصانَها الناعماتِ رحيقَ شذَاهُ
وصبَّ على لونها فضَّةً عُصِرَتْ من سَناهُ

* * *

وأثمارها ؟ أيّ لونٍ غريبٍ وأيّ ابتكارْ
لقد حار فيها ضياءُ النجومِ وغارَ النّهارْ

* * *

وجُنّتْ بها الشَجَراتُ المقلَّدَةُ الجامِدَه
فمنذ عصورٍ وأثمارُهـــا لم تَزَلْ واحده

* * *

فمن أيِّ أرضٍ خياليَّةٍ رَضَعَتْ ؟ أيّ تُرْبه
سقتْها الجمالَ المفضَّضَ ؟ أي ينابيعَ عذْبَه ؟

* * *

وأيةُ معجزةٍ لم يصِلْها خيالُ الشَجَرْ
جميعاً ؟ فمن كلّ غُصْنٍ طريٍّ تَدَلّى قَمَرْ

- ٧ -

ومرّتْ عصورٌ وما عاد أهلُ القُرى يذكرون
حياةَ الغُلامِ الغريبِ الرُؤى العبقريِّ الجنون

* * *

وحتى الجبالُ طوتْ سرّه وتناستْ خطاهُ
وأقمارَهُ وأناشيدَهُ واندفاعَ مُناهُ

* * *

وكيف أعادَ لأهلِ القُرى الواهين القَمَرْ
وأطلَقَهُ في السَماءِ كما كانَ دونَ مقرْ

* * *

يجوبُ الفضاءَ ويَنْـثرُ فيه النَـدَى والبُرودهْ
وشِبْـهَ ضَبابٍ تحدّر من أمسياتٍ بعيدهْ

* * *

وَهمْساً كأصداء نبعٍ تحدّر في عمْق كهفِ
يؤكّـدُ أنَّ الغلامَ وقصّتَـهُ حُلْمُ صيفِ

١٩٥٢

اغنية للحياة

إذا سألوا في غدٍ عن هوَانا
ونحنُ تُرابٌ مع الذكرياتْ
وراحَ يُجيبُهُمُ العابرونَ
بأنّا مررْنا بهذي الحيـــاةْ
وذُقْنا الهَوَى والمُنى والعَذابَ
كأسلافنا ثُمَّ عُدْنا رُفَاتْ
وعفّتْ على أثَرَيْنا الرياحُ
وعُدْنا ضَباباً تلاشى ومَاتْ

* * *

وقـــال لهم قائلٌ : إنّـنا
شربنا الأسى في ثنايا الكؤوسْ

وإنّ ابتساماتِنا كنّ لوناً
يغلّفُ شيئاً طوتْـهُ النفوسْ

وإنّــا دفعنـــا أناشيدَنا
وأحْلامَنا للرَّجاءِ العَبوسْ

وكنّـا كمن قبلَنـــا غُرَباءَ
على الأرضِ ثم طوَتْـنا الرّموسْ

* * *

فمن سوف يُخْبرهم أنّنـــا
شربنا العذوبة حتى سَكِرْنا

وأنّـا ملكنا ضياءَ النجومِ
ودجلةَ والفجْرَ فيما مَلَكْنا

وكانتْ لنا من خُدودِ النسيم
وسائدُ تَسْندُنا إنْ كلِلْنا
وأنّا تركنا حكاياتنا
وأخبارَنا للرّياح ونِمْنا

* * *

وأنّا عَرَفْنا الحياةَ ارتعاشاً
ونبضاً وأغنيةً خالدَهْ
عَرَفْنا الغرامَ الرقيقَ الجبينِ
وذقْنا لياليَهُ الساهِدَهْ
وكم مرّةٍ قد ضَمَمْنا السَعادَ
ةَ في هذِهِ الأذرُعِ الهامدَهْ
وذُقْنا حنينَ الجمالِ اللذيذ
وملْحَ مدامِعنا البارِدَهْ

* * *

وكانت لنا قَطَراتُ النَدى
وُمنْزَلَقُ الضوءِ كلّ صباحْ
وكان النسيمُ شفاهاً تمرّ
تقبّلُ ما جرحتْهُ الرياحْ
وكنا نحبّ الشَذَى والنخيلَ
وآفاقَنا والسُهولَ الفِساحْ
وإنْ جرَحتْنا أكفّ الحياة
سكَبْنا الرضى في شفاهِ الجراحْ

* * *

وكانَ الوجودُ سخِيّ اليَدَين
فاعطى هوانا ضياءَ القَمَرْ
ولف خيالاتنا بالعبير
ومَدَّ علينا ظلالَ الشَجَرْ

وروّى صَدانا بخمر الكروم
وَطهَّرَ أفكارَنا بالمَطَرْ
وَتوَّجنا بغصون البنفْسَـ
ـج والزنبقِ المُخْمليّ العَطِرْ

* * *

وكنَّا لـه بأناشيدنا
وأشواقِنا المَرِحاتِ الوِضاءْ
ومن أجلِهِ قد هَوِينا الحياة
ومن أجلِهِ قد عَشِقنا الفناءْ
وها نحنُ بينَ ذراعَيْ ثَرَاهُ
نشيدَينِ لا يَعْرفان انتهاءْ
يعشّشُ في تُربَتَيْنا الجَمالُ
فيا جَهْلَ مَنْ ظَنّنا أشقياءْ

١٩٥٢

تحية للجمهورية العراقية

« نظمت هذه القصيدة تحية لثورة
١٤ تموز سنة ١٩٥٨ » .

فَرَحُ الأيتامِ بضمّةِ حبٍّ أبويَّه
فرْحةُ عطشانٍ ذاقَ الماء
فرْحةُ تموّزَ بلَمْسِ نسائمَ ثلجيّه
فرحُ الظُلُماتِ بنبع ضياء
فرحتُنا بالجمهوريَّه

* * *

جمهوريتُنَا ، نلفظُها بهَوىً وخُشُوعْ
نهمسُها ، نغمُرُها قُبَلاً ولْهى حرَّى
نلمُسُ أحرُفَها بشِفَاهٍ بقيت دَهْرا
تعطَشُ ، تارقُ ، تَعْرى ، وتجوعْ
جمهوريَّتَنَا ، فرحتَنَا ، يا حُرْقةَ أشواقٍ وحنينْ
نحنُ عطِشْنا لك أعواما
جُعنا وسَهِرْنا ، غذْيناها أحلاما
والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينْ

* * *

جمهوريَّتنا ، طفلتُنا الجذَلى العينينْ
مولودتُنا السمراءُ الباسمةُ الشفتَينْ
سنوسِّدُها في اذرعِنا ومآقينا
سنغذّيها باغانينا

نحنُ ترقّبناها زَمَناً من دون كَلالْ
ورصَدْنا الأفْقَ ، بحَثنا مِلْءَ روابينا
وحَصَدْنا الشوكَ ، حَصَدْنا حِقْدَ أعادينا
وأقمنا مَهْداً من حبٍّ وشَذىً وظِلالْ
كم حفّ به كيدُ الأعداء
وسقَطْنا حولَ قوائِمه الولهى شُهداءْ

* * *

جمهوريتُنا دفْقَةُ خيرٍ مَسكوبه
تقطُرُ إيماناً وعُروبه
جمهوريّتُنا ضوءٌ ، عِطْرٌ ، وعذوبَهْ
تقطُرُ من أحرُفِها الطيبه
كانتْ حُلُماً ضاعَ إلى زرقتِهِ البابُ
كانت أشواقاً مشبوبَه

يحجُبُها غيمٌ وضَبابُ
وأخيراً نحنُ لَمسْناها
بأكُفٍ راعشةٍ فرحاً وملكناها

* * *

جمهوريَّتُنا ورْدتُنا النَشوَى العَطِره
أهداها تمّوزُ الطيِّبْ
أعطاها لرؤانا ، لرُبَانا المنتَظِره ،
للوادي العطشانِ المجدِبْ
وردتُنا البيضاء الغَضَّه
تغمرنا ثلجاً في تمّوزَ وحُرّيَّه
تُعطينا عطراً وسلاماً ورؤىً بَضَه
تبعثُنا أغنيةً حيّه
تحيا تحيا الجمهوريَّه

* * *

جمهوريَّتُنا وردتُنا الروحيّةُ يَحْميها اللهُ
كانت حُلماً ، كانت رؤيا
والآنَ غدَتْ أغلى ما نملِكُ في الدُنيا
وأحبّ ، أعزّ ، أرقّ الوردِ وأحلاهْ

* * *

في أضلُعِنا يا وردتَنا الجُمْهوريَّه
في أعيُنِنا نامي فلصوص الوردِ كِثَارْ
أعداءُ العِطْرِ العابقِ ، تُجَّارُ الأزهارْ
أيقَظَ عِطْرُكِ فيهم أشواقاً ذئبيّه
السّوقُ صحَا يا وردُ حذَارْ
من نقمتِهِ الصهيونيَّه
ومخالبِهِ الأمريكيّه

* * *

جمهوريّتُنا ، وردتُنا ، لن نُعْطيها
إنّا قد ذُقْنا سُكّرَها بعد الحرمانْ
هل نُسْلِمُها لِلصّ الآنْ ؟
جمهوريّتُنا من دمنا سنُغذّيها
نحنُ لها إيمانٌ يُعطي ويد تُنْجِدْ
جمهوريتَنا عشْتِ ، سَلِمْت من الطُغيانْ
انّا والبعث على موعِدْ

طريق ُحبي

طريقي اليكَ يمُرُّ بــــأوديةٍ لا تَبينْ
مغيّـبةٍ في ضَبابِ التمنّـي وعِطْـر الحنينْ
ويُسْـدَلُ فوق ذُرَاها القصيَّـةِ سِتْـرٌ ضَنينْ
يلملمُ أسرارَ أصقاعها عن ُعيون السِّنينْ

* * *

طريقي اليكَ ، وأيُّ طريقٍ ُمثيرٍ غريبْ
قُرَىً سربلتْـها الظنونُ ومَدٌّ فضاءٍ ُمريبْ

وتأوي الشكوكُ إليها ، ويسكُنُ لغْزٌ عجيبْ
وتصرُخُ أسئلتي في رُباها ، وما من مُجيبْ

* * *

وكم مُدُنٍ لا تُفَسَّرُ كم قريةٍ مُضْنِيه
ينـــامُ التناقُضُ فيها ويفترشُ الأوديهْ
فمن فَرَحٍ يتنهَّدُ حُزْناً ، ومن أغْنيه
تُذيعُ سُكوناً طويلاً ، ومن ذِكَرٍ مُنْسيه

* * *

وكم من صحارٍ يعيشُ التعطّشُ في رَمْلها
رَوَيتُ تعطّشها بدموعي ، ومن أجلها
جمعتُ النَدى قَطْرةً قطرةً وعلى مَحْلِها

صَبَبْتُ دمائي
ومثـــلِيَ يَفْنَـى على مِثْـلها

* * *

طرِيقُ هوايَ هِضابُ غُموضٍ وأرضُ ظِلالْ
وبيدٌ تُطيلُ التمنّـي وتطلبُ ما لا يُنَـالْ
هنالك أنهـــارُ أسئلةٍ وجـــبالُ مُحَـالْ
وترسو الليالي شهوراً ويَنْسى المسيرَ الهلالْ

* * *

وبين المحالين : بين وصولي وبين رجوعي
تمرُّ رياحٌ تبلّلُـها قَطَـراتُ دُموعـــي
وأسهَـرُ أجهَدُ ، أحفر في لهفةٍ وخُشوع
لعلّـي أُشقُ طريقاً لحبّـيَ بين ضُلُـوعي

(١٩٦٠)

خمسُ أغانٍ للألم

- ١ -

مُهْدي ليالينا الأَسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوسَ الأرَقْ

نحنُ وجدناهُ على دَرْبنا
ذاتَ صباحٍ مَطِيرْ
ونحنُ أعطيناهُ من حُبّنا
رَبْتَةَ إشفاقٍ وركناً صغيرْ
ينبِض في قلبنا

* * *

فلم يَعُد يتركُنا أو يغيبْ
عن دَرْبنا مَرّه
يتبعُنا ملءَ الوجودِ الرحيبْ
يا ليتَنا لم نَسقِهِ قَطْره
ذاكَ الصَّباحَ الكئيبْ

مُهْدي ليالينا الأَسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوس الأرَقْ

– ٢ –

من أينَ يأتينا الألَمْ
من أينَ يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا

* * *

أمسِ اصطحبناهُ إلى لُجج المياهْ
وهناكَ كسّرناه بدّدْناهُ في موج البُحَيرهْ
لم نُبْقِ منه آهةً لم نُبْقِ عبْره
ولقد حَسِبْنا أنّنا عُدْنا بمنجىً من أذاهْ
ما عاد يُلْقي الحُزْنَ في بَسَماتنا
أو يخبىء الغُصَصَ المريرةَ خلف أغنيّاتِنا

* * *

ثم استلمنا وردةً حمراءَ دافئةَ العبيرْ
أحبابُنا بعثوا بها عبْرَ البحارْ
ماذا توقّعناهُ فيها ؟ غبطةٌ ورضىً قريرْ
لكنّها انتفضَتْ وسالتْ أدمعاً عطْشى حِرَارْ
وسَقَتْ أصابعَنا الحزيناتِ النّغَمْ .
إنّا نحبّكَ يا ألمْ

* * *

من أينَ يأتينا الألم ؟
من أين يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا
انـّا له عَطـَشٌ وفَمْ
يحيا ويَسْـقينا

- ٣ -

أليسَ في إمكاننا أن نَغْـلِبَ الألمْ ؟
نرجئُـهُ إلى صباحٍ قادمٍ ؟ أو أمْسِـيه
نشغُلُهُ ؟ نُقْـنعهُ بلعبةٍ ؟ بأغنيـه ؟
بقصّـةٍ قديمةٍ منسيّـةِ النَـغَـمْ ؟

* * *

ومن عَسَاهُ أن يكون ذلك الألمْ ؟

طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهِم العيونْ
تسْكته تهويدةٌ ورَبْتةٌ حَنونْ
وان تبسّمنا وغنّينا له يَنَمْ

* * *

يا أصبعاً أهدى لنا الدموع والنَّدَمْ
من غيرهُ أغلقَ في وجه أسانا قلبَهُ
ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبّهُ
ومن سواهُ وزّعَ الجراحَ وٱبتسَمْ ؟

* * *

هذا الصغيرُ ... إنّه أبرَأ مَنْ ظلَمْ
عدوّنا المحبّ أو صديقنا اللدودْ
يا طَعْنةً تريدُ أن نمنحَها خُدودْ
دون اختلاجٍ عاتبٍ ودونما ألمْ

* * *

يا طفلَنا الصغيرَ سَامحْنا يداً وفَمْ
تحفِرُ في عُيوننا معابراً للأدمعِ
وتَستَثيرُ جُرحَنا فيموضعٍ وموضعِ
إنّا غَفَرْنا الذنبَ والإيذاء من قِدَمْ

- ٤ -

كيف ننسَى الألَمْ
كيف ننساهُ ؟
من يُضيءُ لنا
ليلَ ذكراهُ ؟

سوف نشربُهُ سوف ناكلُهُ
وسنقفو شُرودَ خُطَاهْ
وإذا نِمنا كان هيكلُهُ

هو آخــــرُ شيءٍ نَرَاهْ

* * *

وملامحُـهُ هي أوّلُ ما
سوف نُبْـصرُهُ في الصباحْ
وسنحملُـهُ مَعَنا حيثُـما
حملتنـــا المُــنى والجراحْ

* * *

سنُبيحُ له أن يُقيم السُـدودْ
بين أشواقنا والقَـمَـرْ
بين حُرْقتنا وغديرٍ بَرُودْ
بين أعيننا والنَـظَـرْ

* * *

وسنسمح أن يَنْشُر البَلْوى
والأسى في مآقينا
وسنُؤْويه في ثِنْيةٍ نَشْوَى
من ضلوع أغانينا

* * *

وأخيراً ستجرفُهُ الوديانْ
ويوسّدُهُ الصُّبَّيْر
وسيهبِطُ واديَنَا النسيان
يا أسانا ،مساءُ الخَيْرْ !

* * *

سوف ننسى الألم
سوف ننساهُ
انّنا بالرضى
قد سقيناه

- ٥ -

نحن توّجناكَ في تهوِئةِ الفجْرِ إلها
وعلى مذبحِكَ الفضيّ مرّغْنَا الجِبَاها
يا هَوانا يا أَلَمْ
ومن الكَتّانِ والسِمْسِمِ أحرقنا بخورا
ثمّ قَدّمْنا القرابينَ ورتّلْنَا سُطورا
بابليّاتِ النَغَمْ

* * *

نحنُ شَيّدّنا لكَ المعبَدَ جُدراناً شَذيّه
ورَششنا أرضَهُ بالزّيتِ والخمرِ النقيّه
والدموع المُحرِقه
نحن أشعلنا لكَ النيرانَ من سَعفِ النخيلِ

وأسانا وهَشيم القمح في ليلٍ طويـــلِ
بشفاهٍ مُطْبَقَه

* * *

نحنُ رتّلْنا ونادَيْنا وقدّمْنا النذورْ :
بَلَحٌ من بابلِ السَكْرَى وخُبْزٌ وخمورْ
وورودٌ فَرِحَهْ
ثمّ صلّينا لعينيك وقرّبنا ضحيّهْ
وجَمَعْنا قَطَراتِ الأدمُعِ الحرّى السخيّه
وَصَنَعْنا مَسْبَحَه

* * *

أنتَ يا مَنْ كفُّهُ أعطتْ لحوناً وأغاني
يا دموعاً تمنحُ الحكمةَ ، يا نبْعَ معانِ
يا ثَرَاءً وخُصوبَهْ

يا حناناً قاسياً يا نقمةً تقطُرُ رحْمَه
نحنُ خبّأناكَ في أحلامنا في كلّ نغْمه
من أغانينا الكئيبه

(١٩٥٧)

أغنية للأطلال العربية

من الجزْع من قلْب سِقْط اللِــــوَى
وَوادي الغمار وبُرْقــــةِ ثهْمَــــدْ
ومن رَبْـــع نُعْمٍ عفتْهُ الرياحُ
وأقفَرَ من أهلِــــهِ وتبَـــدّدْ
ومن طَلَـــلٍ في الجزيرةِ أقْـــوَى
وما زالَ مَنْبَعَ عطْرٍ وَعسْجَـــدْ
تعــــالتْ هُتافاتُ مــــاضٍ عريقٍ
يعيشُ الخُـــلودَ بجَفْنٍ مُسَهّـــدْ

* * *

وتلكَ المرابــعُ حيثُ الظِبــاءُ
سَرَحْنَ قديمــاً وتلكَ الطُلــولْ

منــازلُ يعربِ يَفْنى الوجــودُ
ويلبَثُ منها شذىً لا يزولْ

وشِعْرُ نَــدٍ عربيّ القوافي
يَظَلُّ يبرعمُ مثل الفصولْ

إذا دَرَستْ دِمْنةٌ هبّ ألفُ امْـ
رىء القيسِ يدفَعُ عنهـا الذُبولْ

* * *

تُناديكَ يا عربيّ رمــالٌ
مُعَطّرةٌ بــاريج القِــدَمْ

ديارُ العروبة ما لامَسَتْهــا
قديماً سوى قُبُلاتِ الدِّيَــمْ

وقفتَ بهـــا اليومَ : أين الهـــواد
جُ ؟ أين الحُـداءُ ؟ وأين الخِيَـمْ ؟
تَرَحّـلَ فرسانُـها وانطـــوتْ
أناشيدُهـــا وزَوَاهـــا العَـدَمْ

* * *

وتستعجمُ الدارُ يا عـــربيّ
وتُـغْـرِقُ في صَمْتها لا تُجيبْ
فإن تبْـكِ ، تسْـتبكِ جُدْرانَهـــا
يردَّ عليـــكَ السكونُ الرهيبْ
مَسارحُ آرامهـــا دنّستْهـــا
خُطَـى الوافـــدِ الأجنبي المُريبْ
وأرضُ نزارٍ وبكرٍ ووائـــ
لَ خطّـوا على رَمْلها تـلْ أبيبْ

* * *

وَيصْعَدُ في الليـــل همسٌ كئيبٌ
تردّدُه الدِمَنُ المــاحـله

تغلـّفـــهُ كبرياءُ الطـُــلولِ
وعـــزّةُ أحجـــارها الذابـــله

ويُثْقلُه رجعُ خطْوِ القوافـــ
لِ في رمْـــلِ تلك الرُبى القاحله

متى يا زمانُ تعـــودُ الحياةُ
اليـنــا وتنطلـــق القافلَهْ ؟

* * *

فيـــا عربيّ أصِخْ لنـــداءٍ
تحَـــدّرَ من رَحْبَـةِ الأبديّهْ

وقفْ حاسراً تحت ضوء النجوم
على رَبْعِ تلـــك الطلول الأبيّـه

وقُلْ يا رمـــالَ الجزيرةِ يا لَحْـــ
نَ ملحمةِ العَرَبِ الأزليّـــه
غـــداً ستعودُ اليكِ الحيـــاةُ
تعـــود مـــع الوَحْدةِ العربيّـه
(١٩٦٣)

مشغول في آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو
ويبسِمُ في المَدَى ليلٌ ندٍ أو ينتشي صُبْحُ
سواءٌ ذاكَ أو هذا ، حبيبي ، أنت مَشْغولُ
سُدىً منيَ أوتارٌ تصلّي وتراتيلُ
على مكتبك الباردِ تنكبّ بلا أحلامْ
وتسرِقُ روحَكَ الأرقامْ
وعند رتاجك المَسدودِ ترتدّ المواويلُ
وقد أضحك ، قد أبكي ، وأسهَرُ في الدُّجى وأنامْ

سواءٌ ... أنتَ مشغولُ
باوراقِكَ ، والحبُّ على المكتب مقتولُ ،
ألا فلتَسْقطِ الأوراقُ والأقلامْ

* * *

وآذارُ النَدِيْ وأنا ... وراءَ البابْ
نرُشُّ جبينَكَ الجدّيَّ بالأطيابْ
نُزَقْرقُ في دواة الحبر بعضَ تحرّق الموجِ
ونُنْجي خشَبَ المكتب من بَرْدٍ ومن ثلج
ونُهْدِيك النَدَى والعِطْرَ كاسَ شَرابْ
حبيبي فافتحِ الأبوابْ
أنا والقمر المُشتاقُ جئنا نطرُقُ الشُبّاكْ
عبرنا الصخْرَ والأشواكْ
ووديانا من الآهاتِ والأوصابْ

أتينا هاهُنا لنراكْ
حبيبي فافتحِ الشُبّاكْ

* * *

ويمضي الوقتُ والأبواب ترفُضُنا
حبيبي المُرْهَقَ المشغولَ إفتحْها فنحنُ هُنا
أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَةَ النَهْرِ
وأكواباً من العِطْرِ
وحُزْمَةَ أنجمٍ وسَنَا
حبيبي فافتحِ الأبوابَ ، نحنُ هنا
جميعاً :
أنتَ ، آذارُ ، وفرحةُ حبّنا ، وأنا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

« ترجمة تصرف للقصيدة المعنونة :
It's not Going To Happen Again
للشاعر الإنكليزي روبرت بروك »

أجلْ أنا أشبعتُ روحي وغذّيتُ هذي الشفاهْ
وأشربتُ قلبيَ حتى سَكِرْ
أجلْ أنا أُعْطيتُ أثمنَ ما منحتْهُ الحياه
كؤوسَ الهوى البلسميّ العَطِرْ
وكم قد سَكِرْتُ بأفراحها وبلغتُ الذُرَى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره

ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا صاحبي
ولكنّها ستكونُ الأخيره

* * *

وتعرِفُ هذا بُثينةُ في دَرَكاتِ الجحيمْ
ويُدْركه توبةُ وجميلْ
وكم غمغمتْهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتٍ رخيمْ
وواست به حُزْنَ ليلى الطويلْ
وكم ردّدتْه شفاهُ كثيّرَ في نَشْوةٍ
لعزّة وهي تموتُ كسيرَه
ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا حُلْوتي
ولكنّها ستكونُ الأخيرَهْ

وردة لعبد السلام

« نظمت الشاعرة هذه الأغنية في مساء اليوم الذي أعلن فيه اعتقال السيد عبد السلام عارف بتهمة التآمر سنة ١٩٥٨ »

في جـــداولنا في شفاهِ روابينا   رِيْبةٌ وظـلامْ
وسؤالٌ تحرّق ملءَ أغـــانينا :   أينَ عبدُ السلامْ ؟

* * *

والعروبةُ تسألُ : أينَ أضعْناهُ ؟   صوتُهـا محزونْ
هل نقولُ لها إنّنا قد رَمَيْناهُ   في ظلامِ السُجون؟

* * *

ولماذا سنسجنُـهُ ؟ يسألُ الرافدانْ أيّ ذنب جَناهْ ؟
هل نقولُ لها إنّـه يا شواطئ كانْ عربيّ الشـفـاهْ ؟

* * *

نَـبَـأٌ أنكرتْـهُ المروجُ الخضيبَـه بـــدمِ الثُـوّارْ
وسيلبَـثُ فوق خدود العروبه خجلاً واحمرارْ

* * *

والملايينُ ترقُـبُ في حُرقةٍ وانفعالْ حافَةَ الكاسِ
صوتُها رنّ يُلْقي السؤالَ متى يا جَمالْ مَطلعُ الشمْسِ؟

* * *

والملايينُ تحمل في يدهــــا ورده لكَ عبدَ السّلامْ
يا نصيرَ العروبة والحقّ والوَحْـده يا عدوّ الظَـلامْ

(١٩٥٨)

اغنية للقمر

كأسُ حليبٍ مثلّجٍ تَرِفِ
أم جدولٌ سائلٌ من الصَدَفِ ؟
أم غَسَقٌ أبيـــضٌ يسيلُ على
خدود ليلٍ مُعَطّرِ السُدُفِ
أم حُقّ عطْرٍ ملوّنٍ خَضِلٍ
يقطُرُ شهداً لكلّ مُغْتَرِفِ ؟
أم أنتَ خدٌ مُزَنبقٌ أرِجٌ
يَنعَسُ فوقالأعشابِ والسَعَفِ ؟

يا فضّةً كالضياءِ ليّنـــةً
يا لونَ حُبّي القديم يا شَغَفي

* * *

ما أنتَ يا دورقَ الضياءِ ويا
كواكباً في الظلام مُنْصَهِره ؟
يا قُبَلاً سَوْسَنيّةً سَكَبتْ
شهداً مُصَفّىً في ليلةٍ عَطِرَهْ
يا مَخْبأً للجمالِ يا حُزَمــاً
من زنبقٍ في السماء مُنْعَصِرَهْ
ويا شِفاهاً من الضياءِ دَنَتْ
تَمْسَحُ وجهَ العرائشِ النَضِرَه
يا بركة العِطْر والنعومة يا
سلّةَ فُلٍّ في الأُفْقِ منحدره

* * *

يا زورقَ العاشقين تحملُهُم
عبْرَ بحار الأحلام والكَسَلِ
على جَناحٍ مريَّشٍ يقظٍ
يفرُشُ دربَ الغرامِ بالأملِ
يا منبعاً يسكُبُ النُعاسَ على
ما أرّقتْهُ الأشواقُ من مُقَلِ
يا ساقيَ الأعينِ الرقاقِ رؤىً
يا كوبَ نومٍ مخدّرٍ ثَمِلِ
يا إصبَعاً يلمُسُ الجراحَ ويا
مُبَعْثرَ الأُغْنياتِ والقُبَلِ

* * *

جزيرةٌ في الدُجى معلّقةٌ
فجريّةُ اللونِ والتباشير

طافيةٌ فوق جدولٍ عبِقٍ
مكوكبِ الشاطئَينِ مَسحورِ
تجمّدَ الضوءُ عند شاطئها
مهد حريرٍ وكَنْزَ بلّورِ
يا توبةَ القُبْحِ يا شِراعَ هوى
مُلَوّنٍ ناعمِ الأساريرِ
يا نَدَمَ الليلِ والظلام ويا
كَفّارة الغيْمِ والأعاصيرِ

* * *

أذِبْ شظايا أشِعّةٍ ورؤىً
في الليلِ واغمُرْ سُطوحَنا فِضّهْ
وانفُضْ جناحيكَ في الفضاءِ يَسِلْ
لونُ جَناحِ الفراشةِ الغضّه

لولاك لم ترقُصِ الظلالُ ولم
تبرُدْ كؤوسُ الزنابِقِ البَضّه
غزلْتَ أحلامَنا وأرضَعَنا
ضياؤكَ العذْبُ ومضةً ومْضَه
يا كُوَّةَ الفَجْرِ في دُجىً تَعِبٍ
يا مُطْعِمَ الياسمينِ في الرَوْضه

* * *

البَثْ كما أنتَ عالماً عجِزَتْ
أرواحُنا أن تعيْ خفاياهُ
يا ناسِجَ الشِعْرِ يا بَقيّتَهُ
في عالَمٍ أظْلَمَتْ مَراياهُ
أيُّ نشيدٍ لم ينبجس عَسَلاً
وأنتَ تفترّ في ثَناياهُ

أنتَ منحتَ الغنـاءَ لذّتَهُ
يا نبْـضَـةَ الوزن في حَناياهُ
فابْـق وراء الحيـــاةِ أخيلةً
الشِـعْـرُ فيهـا والُحبّ واللهُ

(١٩٥٢)

ثلجٌ ونار

تسألُ ماذا أقصدُ؟ لا ، دَعْني ، لا تسألْ
لا تَطْرُق بوّابَةَ هذا الرُكْنِ المُقْفَلْ
اتركني يحجُبُ أسراري سِتْرٌ مُسْدَلْ
إنَّ وراءَ الأستارِ وروداً قد تذْبَلْ

* * *

إن أنا كاشفتُكَ ، إن عرّيتُ رؤى حبّي
وزوايا حافلةً باللهفةِ في قلبي
فستغضَبُ مني ، سوف تثورُ على ذنبي

وسيَنْبُتُ تأنيبُكَ أشواكاً في دربي

* * *

وإذا ما رُحْتَ تؤنّبُني ، هل أنسحبُ ؟
هـل يقبَلُ ثلجَ عتابكَ قلبي الملتهبُ ؟
أترى أتقبّلُ ؟ لا أغضَبُ ؟ لا أضطربُ ؟
لا ! بل سأثورُعليكَ ... سيأكلُني الغَضَبُ

* * *

وإذا أنا ثرتُ عليكَ وعكّرتُ الأجواءْ
بمرارةِ لفظٍ جافٍ أو حرفٍ مُسْتاءْ
فستغضَبُ أنتَ وتنهَضُ في صمتٍ وجَفاءْ
وستذهَبُ يا آدمُ لا تسألُ عن حوّاءْ

* * *

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشَوْقا

عصفوراً عطشاناً لا يحلُمُ أن يُسْقَى
وليالِيَ لا تعرفُ لا فجْراً لا شَرْقا
وإذا مــا أنتَ ذهبتَ ... فماذا يتبقّى ؟

* * *

لا ، لا تسأل ... دعــني صامتةً منطويهْ
أترك أخبــاري وأناشيدي حيثُ هيَ
اتركني أسئــلةً وردوداً مُنْزويهْ
ووروداً تبقَى تحت ثلوجِــكَ منحنيه

* * *

يا آدمُ لا تسأل ... حــوّاؤكَ مطويّه
في زاويةٍ من قلبك حــيرى منسيّه
ذلك مــا شاءتْهُ أقــدارٌ مَقْضيّه
آدم مثلُ الثَلْج ، وحــوّاء ناريّه

أغنية حب للكلمات

فيمَ نخشَى الكلماتْ
وهي أحياناً أكُفٌّ من ورودِ
باردات العِطْرِ مرّتْ عذْبةً فوق خدودِ
وهي أحياناً كؤوسٌ من رحيقٍ مُنْعِشِ
رَشفَتْها ، ذاتَ صيفٍ ، شَفةٌ في عَطَشِ

* * *

فيم نخشى الكلماتْ
إنّ منها كلماتٍ هي أجراسٌ خفيَهْ

رَجعُها يُعلِن من أعمارنا المنفعلات
فترةً مسحورةَ الفجرِ سخيّه
قَطَرَتْ حسّا وحبّاً وحياةْ
فلماذا نحنُ نخشى الكلماتْ ؟

* * *

نحنُ لُذْنا بالسكونِ
وصمتنا ، لم نشأ أن تكشف السرَّ الشِفاهُ
وَحسِبنا انّ في الألفاظ غولاً لا نراهُ
قابعاً تُخْبئُهُ الأحرُفُ عن سَمْع القرونِ
نحنُ كبّلنا الحروف الظامئه
لم نَدَعْها تفرشُ الليلَ لنا
مِسْنداً يقطُرُ موسيقىً وعِطْراً ومُنَى
وكؤوساً دافئه

* * *

فيم نخشى الكلماتْ ؟
انها بابُ هوىً خلفيّةٌ ينْفذُ منها
غدُنا المُبهمُ فلنرفعْ ستارَ الصمتِ عنها
انها نافذةٌ ضوئيّةٌ منها يُطِلّ
ما كتمناهُ وغلّفناهُ في أعماقنا
من أمانينا ومن أشواقنا
فمتى يكتشفُ الصمتُ المملُّ
أنّنا عدْنا نُحبّ الكلماتْ ؟

* * *

ولماذا نحن نخشى الكلماتْ ؟
الصديقاتُ التي تأتي إلينا
من مدى أعماقنا دافئةَ الأحرُفِ ثرّهْ
انها تفجؤنا ، في غفْلةٍ من شفتينا

وتغنّينا فتنثالُ علينا الفُ فكره
من حياةٍ خِصْبة الآفاقِ نَضْره
رَقَدَتْ فينا ولم تَدْرِ الحياة
وغداً تُلْقي بها بين يدينا
الصديقاتُ الحريصاتُ علينا ، الكلماتْ
فلماذا لا نحبّ الكلماتُ ؟

* * *

فيمَ نخشى الكلماتْ ؟
انّ منها كلماتٍ مُخْمليات العُذوبَهْ
قَبَسَتْ أحرفُها دِفْءَ المُنى من شَفَتين
انّ منها أُخراً جَذْلى طَروبه
عَبَرَتْ ورديّةَ الأفراح سَكْرى المُقْلتين
كَلِماتٌ شاعريّاتٌ ، طريّه

أقبلتْ تلمُسُ خدّينا ، حروفُ
نامَ في أصدائها لونٌ غنيّ وحفيفُ
وحماساتٌ وأشواقٌ خفيّه

* * *

فيمَ نخشى الكلماتْ ؟
إن تكنْ أشواكها بالأمسِ يوماً جرحَتْنا
فلقد لفّتْ ذراعَيْها على أعناقنا
وأراقتْ عِطْرَها الحلوَ على أشواقنا
ان تكن أحرفُها قد وخزَتْنا
ولوَتْ أعناقَها عنّا ولم تعطِفْ علينا
فلكم أبقت وعوداً في يدَينا
وغداً تغمرُنا عِطْراً ووروداً وحياة
آه فاملأ كأستَيْنا كلِماتْ

* * *

في غدٍ نبني لنا عُشّ رؤىً من كلماتْ
سامقاً يعترش اللبلابُ في أحرُفِهِ
سنُذيبُ الشِعْرَ في زُخْرُفِهِ
وسنَرْوي زهرَهُ بالكلماتْ
وسنَبْني شُرْفةً للعطْرِ والوردِ الخجولِ
ولها أعمدةٌ من كلماتْ
وممرّاً بارداً يسْبَحُ في ظلٍّ ظليلِ
حرَسْتهُ الكلماتْ

* * *

عُمْرُنا نحنُ نذرناهُ صلاة
فلمن سوف نصلّيها ... لغير الكلماتْ ؟

(١٩٥٤)

ثلاث اغنيات عربية

- ١ -

الساعـــة

« لقـد دقت ساعـــة العمل الثوري »
[جمـال عبد الناصر]

دقّـت الساعة في أرض بـــلادي العربيّـه
جلجلت ، ضجّـت ، ودوّت ملءَ وديانٍ قصيّـه
غلغلت عـــبر بساتين النخيل العنبريّـه
وتلوّتْ في صحارٍ رَسَخَتْ كالأبديّـه

* * *

دقّت الساعة واهتزّتْ لها سُمْرُ الصحاري
وارتوت بيدٌ عِطاشٌ لانبلاجٍ ، لانفجارِ
ورمالٌ لم تزلْ منذ عصورٍ في انتظارِ
فتحتْ أذرعها العطشى وألوت بالإسارِ

* * *

إنّه الفجرُ فهُبّي يا ملايينُ وموجي
إحملي أغنية الصَحْو إلى خُضْر المروجِ
وعوداً مورقاتٍ عربيّاتِ الأريجِ
نبضت بين المحيط المُترامي والخليجِ

* * *

إثنتا عشرةَ من دقّاتها هزّت رُبَانا
أيقظت تاريخَنا القوميّ في قعْرِ دِمانا

غلغلت عـــبر صحارينا النَشاوَى وقرانا
وسمعناهـــا تنادي وأفَقْنا من كرانا

-٣-

اللصوص

إنـّه الليلُ كلُّ الحدودْ غرقتْ في مَدَى غيهبـِهْ
بدياجيهِ لفَّ الوجودْ أيّهـــا العربيّ انتبه

* * *

رَحـباتُ المَدى النائياتْ زخرتْ بخُطَى الأعداء
من وراءِ ضفافِ الفراتْ والخليـــجِ إلى صنعاء

* * *

ولصوصٌ هناكَ كثارْ كلّهم جَشَع وخداعْ
أقبلوا من وراءِ البحارْ يسرِقون طعام الجياعْ

* * *

نزلوا أرضَك السمراءْ يسرقون الَجنى والتمورْ
يأخذون الثَرَى والهواءْ يخطفون النَدَى والنورْ

* * *

يسلبونكَ لو يقدرونْ خضرةَ الشَجَر المبتسِمْ
يخنقونَ الأغانيْ الحنون يمنعونَ الكَرَى والُحلُمْ

* * *

انّهم يقطعون الطُرُقْ ويسُدّون كلّ سبيلْ
فاستفق من كَرَاك استفق أيّها العربي النبيلْ

-٣-

النسر المطعون

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهي
حيثُ الصحارى المُحْرِقاتُ الرِّمالْ

حيثُ الينابيعُ وكاساتُها
تقطرُ شهداً وتغذّي التلالْ

وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا
تشدو بها شِفاهُ ريحِ الشِمالْ

هناكَ ألقى طائرٌ ظلّهُ
ضخماً ، إلهيّاً تحدّى المُحَالْ

* * *

جُنْحاهُ مبسوطانِ فوق المدى
من الخليـــج للمحيط السحيقْ
في كبرياء الريش تحيا ذُرَى
وأعصُرٌ يقْظَى ومجدٌ عريقْ
أقـــامَ فوق الأرض لا يرتقي
نحو الأعالي في الفضاء الطليقْ
واللانهـــايات تنادي وفي
ندائها همْسُ الخلود العميقْ

* * *

في قلبه النابض قـــد أغمدوا
رمحاً غليظَ الحدِّ خشْنَ الشّفاه
من صدره الحرِّ يغذّي الثَرَى
والوردُ يستنبتُهُ من دمـــاهْ

يا رمحَ إسرائيلَ مهما ارتوى
من جنحِهِ من روحهِ من مُنَاهْ
يبقى ثَرانا عربيّ الشذَى
والضوءِ ، يبقى عربيّ المياهْ

* * *

يافا وحيفا في غدٍ نلتقي
فنحن والضوءُ على موعدِ
تبقى فلسطينُ لنا نغمةً
قدسيّةً على فمِ المُنْشِدِ
ونسْرُنا الشامخُ لن ينثني
أمام بابِ الزمنِ الموصَدِ
غداً فلسطينُ لنا كلّها
كأنّ إسرائيلَ لم توجَدِ

خصام

زمانُ الصَفَاء مَضى وتلاشَى مع الذكريات
وها نحن مختصمانْ
وجاء زمانُ الصِرَاعِ فلا لُطْفَ لا بَسَماتْ
ولا دفقةٌ من حَنانْ

* * *

وها نحنُ مختصمانِ دفنّا الوئامْ
وراء التوتّر في قعر ألفاظنا البارده
ولم نُبْقِ كأساً ولا منهلاً للغرامْ

ولم نُبْقِ عُشّاً لأحلامنا الساهده

* * *

وها نحنُ نكشِفُ عمّا انطوَى
بأعماقِ أنفسِنا من عيوبٍ جميله
ويُدْرِكُ كلّ بأنّ الهوَى
طوَى ما طوَى من معايبنا المُترَفات الأصيله
ولم يُبْقِ إلا محاسنَنا الفجّةَ المستحيلهْ

* * *

وهــا نحنُ نعرِفُ أبعادَنا الشاسِعه
وما امتدّ في عُمْقها من خُشونه
وكيف ملكْنا عُيوباً منوّعةً رائعهْ
تُخَبّىء أوُجهَها خلف ستر الرضَى والليونَه

وخلف الوداعةِ خلْفَ السكينه

* * *

وفي لَحظَاتِ الصفاءِ لَمَسْنا شذانا الرصينا
وذُقْنا محاسنَنا السَمْحةَ المُنْعِمه
وذاك الطِلاءَ الذي لفّ أعماقنا المُبهَمه
وغطّى الحماقَةَ والضَعْف فينا

* * *

وفي لَحظاتِ الحنينِ هَوِينا
بَساطتَنا وعشِقْنا العُذوبه
وها نحن نعشَقُ ما تَخْلُقُ الآدميّةُ فينا
ونلمُسُ أعماقَنا الشاسعاتِ الرهيبهْ
وما في حَماقتنا من جَمالٍ شَذٍ وخُصوبه

* * *

وكنا عَشِقنا انبثاق الحرارة في مُقلتَينا
فدَعنا نُحبّ النُضوبْ
وكنا هَويْنا التورّدَ والشِعرَ في شَفتينا
فلمَ لا نُحبُّ الشحوبْ
ولِمَ لا نخلّفُ ركناً من المقْتِ بين يدينا ؟

* * *

وكنا عَقَدْنا الصداقةَ بين المحاسنِ فينا
فدعنا نُقِمْ أُسسَ الحبِّ والودِّ بين العيوبْ
وأفسحْ مكاناً لبعضِ الحماقات بعضِ الذُنوبْ
ودعنا نكُنْ بَشَراً طافحين نفيضُ جنونا
وننضَحُ ضِحكاً ودمعاً سَخينا

(١٩٥٤)

اسفار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel
للشاعر الانكليزي روبرت بروك
Rupert Brooke

حــــينَ نزاتُ (تونس) الكبيرهْ
كُسّرَ قلبي قِطَعاً صغــــيره

* * *

ثم استطعتُ بين نَخْـل (البصره)
ألصـاقَ قلبي كِسرةً فكسره

* * *

وفي (دمشْقَ) عـاد قلبي قِطَـعا
ولاحَ عجزُ الصمغِ عن أن يَنْفَعا

* * *

وها أنا في أرض «مصر» أعلمُ
بأنَّ مـا كُسِّر ليسَ يُلْحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجميلة

جميلةُ ! تبكين خلفَ المسافاتِ ، خلف البلادْ
وتُرْخين شَعركِ كفّكِ دمعَكِ فوق الوِسادْ
أتبكين أنتِ ؟ أتبكي جميلَهْ ؟
أما منحوكِ اللحونَ السخيّاتِ والأغنياتْ ؟
أما أطعموكِ حروفاً ؟ أما بَذَلوا الكلماتْ ؟
ففيمَ الدموعُ إذنْ يا جميله ؟

* * *

ونحن منحنا لوصفِ جراحِك كلّ شَفَهْ
وجرّحنا الوصفُ، خدّشَ أسماعَنا المُرْهفهْ
وأنتِ حملتِ القُيــودَ الثقيله
وحينَ تحرّقتِ عطشى الشفاه إلى كأسِ ماءْ
حشَدْنا اللحونَ وقُلْنا سَنُسْكتُها بالغناءْ
ونشدو لهـــا في الليالي الطويله

* * *

وقُلنا: لقد أرشفوها الدماءَ، سَقَوْها اللهيبْ
وقُلنا: لقد سمّروها على خشَباتِ صليبْ
ورحنا نُغَنّي لمجـــدِ البُطوله
وقلنا: سنُنقذُها، سوف نفعلُ!» ثم غرِقنا
وراء مَدى «سوف» بين الحروف النشاوى وصحنا

تعيشُ جميـــله ! تعيشُ جميله !

* * *

وذُبْنا غراماً ببَسمتِها وعَشِقنا الخدودْ
وأذْكى هَوانا الجمالُ الذي أكلتْهُ القيودْ
وهِمْنا بغَمّــازةٍ وجَدِيلَهْ
أمِنْ جُرْحِها الثرِّ نُطْعِمُ أشعارَنا بالمعاني ؟
أهذا مكانُ الأغاني ؟ إذنْ فاخجلي يا أغاني
وذوبي أمـــام الجراح النبيلَهْ

* * *

هُمُ حمّلوها جراحَ السكاكينِ في سوءِ نيّه
ونحنُ نحمّلُها ـ في ابتسامٍ وحُسْنِ طويّه ـ
جراحَ المعاني الغـــلاظ المجهوله

فيـــا لَجِراح تعمـَّقُ فيها نُيوبُ فَرَنسا
وجُرْحُ القرابةِ أعمقُ من كلِّ جُرْحٍ وأقسى
فوا خَجلتنا من جراح جميـــله !

(١٩٥٨)

إن شاء الله ...

ناديتُ الوردةَ ذات صباحٍ : « يا وردةُ إني عَطشى »
فرَنَتْ وانتفضَتْ وابتسمتْ
وجهاً ، قلباً ، شَفَةً ، رِمْشا
منحتني العِطْرَ ، اللونَ ، الحبّ ، وما بخلَتْ
فرَشتْ لي خدّيْها وحنت
... ...
وسالتُ حبيبي أن ألقاهْ
فتطلّع فيّ وقال : أجل ، ان شاء اللهْ ...

بضعة ألفاظ ثم مَضى
وعدٌ منه وحماسٌ من قلبي ورِضى
وغداً أو بعد غدٍ يحضُرُ إن شاء اللهْ ...

* * *

إن شاء اللهْ ...
وعدٌ في شَفَةِ الزنبقِ غطّى المرْجَ شَذاهْ
وتألّقُ فجرٍ منبثقٍ خلفَ مسافاتٍ مبهوره
ونسائمُ تعبُرُ في وديانٍ مسحوره
(إن شاء اللهُ) رؤى أغنيةٍ طافحةٍ ونَدىً وصلاه
(إن شاء اللهُ) تسابيحٌ وصَدَى أجراسْ
وبشاشةُ كاسٍ لامَسَ كاسْ
(إن شاء الله) تفجّرُ أعيادٍ وحياهْ
وتَلاقي أعنابٍ ومياهْ

* * *

(إن شاء الله) ... وسحّتْ أمطارٌ ثَرّهْ
فجّرتِ العالَمَ بالُخضرَه
(إن شاء اللهُ) وجاشَ البحرُ وأعطانا
سمكاً ولآلِئْ ورشاشاً رطّبَ أوُجهَنا ورؤانا
(إن شاء الله) وألفُ يدٍ مرّتْ وتيقَّظَ ألفُ وَترْ
وتألّقَ حولي ألفُ قَمرْ
وأنا ما زلت أعيشُ وأحلُمُ أن ألقاهْ
فمتى يُشرِقُ لي فجرُكِ يا (إن شاء الله) ؟

* * *

(هل) و (متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه
وجوابُهما : إن شاءَ الله ...
هل تحضرُ ؟ هل ياتي المَطَرُ ؟
هل يسخو العِطْرُ وينهمرُ ؟

إن شاء اللهْ

إن شاء اللهْ

ومتى يسْري نُسْغُ السُكَّرْ

في الرُمّانِ الحامضِ ؟ والفجرُ متى يظهرْ ؟

والشاطىءُ بعد ضَنى الأسفارِ متى سنراه

إنْ شاء الله ؟

حدود الرجاء

« في انتظار إعلان الوحدة
الثلاثية سنـــة ١٩٦٣ »

كنا نراها في ضَبابِ الكَـرَى
ملفوفةَ الهيـكل بالمستحيلْ
كنا شفاهاً عطشتْ والتظَـتْ
وكان مَرآهـــا يُرَوّي الغليلْ
كنا مـــلايينَ نُعاني اللّـظى
وظلُّها فوقَ مُنانا ظليـــلْ

وكانتِ الأحلامُ تُلْـقي بنـــا
في كلِّ فَجرٍ فوق صَحوٍ ثقيلْ

* * *

وكم عَبرْنا نحوَهـــا من مَدىً
الرِّيحُ فيهِ تلتقي بالأنـــينْ
دماءُ مقتولينَ من يَعْـربٍ
تضجُّ في أعماقِ ليلٍ حزينْ
وموكبٌ يُعقبهُ موكبٌ
من شُهداءٍ سقطوا هاتفـــينْ
يا صوتَها ، يا وجهَـها ، يا ٱسمَـها
إبقَـيْ ضياءً يتحدّى السنينْ

* * *

الوحدةُ الكبرَى شَدَوْنا بهـا
ونحـــنُ في المَهْـدِ صغارُ المُنى

وكم بَنيْـنا صَرْحها المُشتَهـَى
على تـــلالِ الرّملِ في أمْسِـنا

وكم حَسِبنا أنّها قد دَنَتْ
منّـا فاختفى ضوءَها المُنحنى

وجهُ سَرَابيّ السَّنا كم هَوَى
كلّ رجـــاءٍ دونَهُ مُثخَنا

* * *

من دونها ضِعنا فـــلا زَهْرةٌ
توقِظُنا أشذاؤهـــا الساريهْ

لا نَغَمٌ يُسعِدُ أرواحنـــا
لا نَهْـرَ يروينا ولا ساقيهْ

لا نخـــلةٌ تضحكُ في أرضنا
لا زارعٌ يُنشِـدُ لا راعيـــهْ
جَفّتْ أراضينا وأشجـــارنا
وارتحلَـتْ أطيارنا باكيهْ

* * *

نحنُ عَـــبرْنا كلّ أفقٍ نَاى
نبحثُ عنها عن شَذَاها الجميلْ
عن لونها عن روحها عن صَدًى
منها يُدوّي في السكونِ الثقيلْ
واليومَ جئنا أرْضَها وانطوَى
ذاك المسيرُ المـــدلهمُّ الطويلْ
وانصرَمتْ تلك السنينُ التي
تاهت خُطاها في ضَباب العويلْ

* * *

واليومَ حــانَ الفجر يا أمّــتي
فنحنُ قارَبْـنا حدود الرّجاءْ

تلألُهــا تبدو وراء المَدَى
مُغرَقةً في غمــرةٍ من ضياءْ

الوحدةُ الكبرى دنا ركبُـها
منّـا فيا بُشرَى الشِـفاه الظِـماءْ

يا فرحة السارينَ تحت الدُجى
قد لاحتِ الدارُ وحانَ اللقاءْ

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

« عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية
من القاهرة في ١٧ نيسان ١٩٦٣ »

يا صميم الدُجى الذي أسدلَ السِتْـ
ـرَ على بيدِنا الرِحابِ النقيّـهْ

يا جراحَ التقسيمِ ، يا عارَ إسرا
ئيلَ في جبهة الصَحارى الأبيّهْ

يا مسيلَ الدماء من عُنُقِ المو
صلِ باسم السلامِ والُحريّـه

يا صُراخَ الجنوبِ من أرضنا المُشْ
ـبعةِ الرّمْلِ بالدماءِ الشذيّهْ

يا سنينـا مقتولةً في ثرَى تا
ريخِنا لم تَزَلْ رؤاهـا طريّهْ

يا قبوراً تضمُّ قَتْلَى عِطَاشاً
فوق أرضِ الجزائرِ العبقريّهْ

يا مُنى أمّـتي جميعاً ، ويا آ
مـالها يا أحلامَها المَطْويّه

إستفيقي من الكرَى إنّ فجراً
قـد أطلّتْ أضواؤه الزنبقيّهْ

حُـزَمٌ من سعادةٍ وضياءٍ
دفَقَتْ في الديَاجـر الغَيْهبيّه

طوتِ النيلَ واحتوت بَرَدَى واْحـ
ـتَضَنَتْ دجلةً بكفٍّ نديّهْ

إنّها ساعةُ المَدَى أعلنتْ دقّـ
ـاتُها فجرَ أمّتي العـــربيّهْ

* * *

كم حَلُمْنا بوَحْدةِ العَرَبِ الكُبْـ
ـرى وهِمْنا بفجرها الوُضّاءِ
كم شَدَوْنا بها، عروبتُنا ظَمْـ
ـأى إليهـــا تظَلّ دون ارتواءِ
ورأينـــا ديارَنا مِزَقاً دا
مية الرّمْلِ، في يدِ الأعداءِ
لم يَعُدْ زَهْرُها الطريُّ المُنَدّى
عربيّ الألوانِ والأشـــذاءِ
وانحَنى النخلُ واجماً خجل الخضْـ
ـرةِ بعد انتصابةِ الكبرياءِ

وخرجنا مُشَرَّدِينَ فمن صَحْـ
ـراءَ ممتـــدّةٍ إلى صحْـراءِ

وتركنا أنهارَنا تسكُبُ المـا
ءَ رحيقاً في أكـــؤس الغُربَاءِ

ثم جـــاء الضياءُ وافترّ فجرٌ
عنبريّ الشُعَاعِ عبْرَ الفضاءِ

في سكونِ الصباحِ جلجلتِ السا
عـةُ مِـــلْءَ المهامِهِ السمراءِ

تُعلِنُ الوَحْدَةَ الكبيرةَ ضوءاً
وَسلامـــاً في ليلةٍ لَيْـــلاءِ

أعلنَتْها أمنيّةَ العـــرب الكبـ
ـرى وحُلْمَ الأجداد والآباءِ

* * *

واستفاقت بغدادُ نشْوى تُغنّي
وهي تَسْقي ورودَ أجملِ فَجْرِ
خفقَتْ في سمائها رايةُ الوحْـ
ـدةِ يا لَلْحُلْمِ الجميلِ النَضْرِ
قلبُها قلبُها المَشُوقُ إلى مِصْـ
ـرَ طويلاً قد ضمّ تُرْبةَ مِصْرِ
والتقَتْ كفّها بكفّيْ دمَشْقِ
في صباح العروبة المفترّ
انّه الصبحُ جاء فاستقبلتْهُ
في أشدّ اعتناقةٍ وأحرّ
جاءَ بالراية المثلّثةِ الأنـ
ـجمِ يمحو عارَ السنينِ الُحمْرِ
وبيمناهُ وردةٌ بَضّةُ اللمْـ
ـسِ ريّا البياض نَشْوى العِطْر

هي مِنْـــهُ تحيّةٌ للذينَ اسـ
تُشْهِدوا أمسِ في إباءٍ وكِبْرِ

ايهِ بغدادُ أيقظي كلّ من ما
تَ شهيداً على نشيدِ النَصْرِ

أنبايـــهِ بانّ وَحْدَتَهُ قـا
متْ وضمّت من أرضهِ كلّ شِبْرِ

طلع الفَجْرُ من وراءِ الدياجي
يا عُيونَ الشهيد نامي وقَرِّي

* * *

انها الوَحْدَةُ الكبيرةُ جُعْنَا
لشَذَاها مَدَى قُرونٍ طوال

أشعلَ الشوقُ حُبّها في صحاري
نا وحنتْ لها شفاهُ الرمال

كم شهيدٍ من يعربٍ ماتَ عطشا

نِ اليها ممــزّقَ الآمالِ

ضيّع الُحلْم في مكانٍ سحيقٍ

بين لفظ اسْمِها وبين الُمحَال

يا حنينَ الأجداد يا شَوْقَ أمّي

يا سِنينَ الضَياعِ والأغــلالِ

فجرُنَا لاح فلتَنَمْ حُرْقَةُ الأش

واقِ وليسترحْ جنونُ السؤالِ

فجرُنا لاح أبيضاً عربيّــاً

أطلعتْهُ في الأفْق كفّا (جَمال)

ناصرِ الحقِّ والعروبةِ أحْيَى

كلّ حُــلْمٍ مقطّعِ الأوصالِ

لمّ شَمْلَ الرّمالِ في أرضِنا السَمْ

راءِ بعد التمزيقِ والإذلالِ

ودعا النّومَ فاستحالَ حياةً
تتلظّى بالخصْب والإنفعـــال

ثم أهدى ديارَنا الوَحْدةَ الكبـ
رى فموجي يا أرضَنا واختالي

(١٩٦٣)

اغنية ليالي الصيف

يا هدوءاً مطمئنّـــــا

يا فضاءً مَرِحاً لدْنَ البريقِ

يشرَبُ الأنجمَ كاساً من رحيقِ

يا رؤىً تقطُرُ لونا

* * *

انتِ عطرٌ ونعومهْ
وحفيفٌ وانحداراتُ أشعّه
ونجومٌ عُكِستْ في عُمق تِرْعه
وأناشيدُ رخيمه

* * *

أنتِ ينبوعُ سكونِ
وحَماساتٌ وعِطْرٌ وبُروده
يا وِسادَ الأنجُم الجَذْلى البعيده
يا مَصَبّاً للحنينِ

* * *

أيّ بردٍ ولُيونَــــهْ
يا شفـــاهاً قمريّات القُبَـلْ
تنشُـرُ الأنداءَ أقداحَ عَسَـلْ
فـوق أشجار المدينه

* * *

أيّ نهر من عطورِ
في شَذَاهُ مسبحٌ للقَـمَـرِ
وغــــذاءٌ للرؤى والسمــــرِ
ورحيــــقٌ للشُعورِ

* * *

أنتِ للأحلام مأوى
يا ملاذاً بارداً عذْبَ الجوارِ
لخدودٍ حَمَلَتْ عبْءَ النّهارِ
وأَتَتْكِ الآن نَشْوى

* * *

اغمريني بالظِـــلالِ
واحملي روحي على أعطار نَسْمه
وامنحي خدّي وساداً عند نجمه
يا ليـــالي يا ليـــالي

* * *

وإذا نمتُ فمُدّي
بردَكِ المُنْعِشَ والعِطْرَ سريرا
وأسيلي القَمَرَ العذْبَ غديرا
وليكنْ لينُكِ مَهْدي

* * *

وامنحيني ألفَ حُلْمِ
من ليالٍ غسَقيّاتِ الغُلاله
شَرِبَتْها فرحتي حتى الثُماله
فهي قيثاري وكرمي

(١٩٥٢)

النهر العاشق

« نظمتها الشاعرة خلال الفيضان
الرهيب عـــام ١٩٥٤ »

أين نمضي؟ انه يعدو إلينا
راكضاً عبْرَ حقول القمْح لا يَلْوي خطاهُ
باسطاً ، في لمعة الفجر ، ذراعَيْهِ إلينا
طافراً ، كالريحِ ، نشوانَ يداهُ
سوف تلقانا وتَطْوي رُعْبَنا أنّى مَشَيْنا

* * *

انه يعدو ويعدو
وهو يجتازُ بلا صوتٍ قُرَانا
ماؤه البنيّ يجتاحُ ولا يَلْويه سَدّ
إنه يتبعُنا لهفانَ ان يَطْويْ صبانا
في ذراعَيْهِ ويَسْقينا الحنانا

* * *

لم يَزَلْ يتبعُنا مُبْتسماً بسمةَ حبٌ
قدماهُ الرّطبتانِ
تركتْ آثارَها الحمراءَ في كلّ مكانِ
انه قد عاش في شرقٍ وغربِ
في حنانِ

* * *

أين نعدو وهو قد لفّ يدَيهِ
حولَ أكتافِ المدينه ؟

انه يعمَلُ في بطءٍ وَحزْمٍ وسكينه
ساكباً من شفتَيْهِ
قُبَلاً طينيّةً غطّتْ مراعيْنا الحزينه

* * *

ذلكَ العاشقُ ، إنا قد عرفناهُ قديما
انه لا ينتهي من زحفِهِ نحو رُبانا
وله نحنُ بنَيْنا ، وله شِدْنا قُرَانا
انه زائرُنا المألوفُ ما زالَ كريما
كلّ عامٍ ينزلُ الوادي ويأتي لِلقانا

* * *

نحن أفرغنا له أكواخنا في جُنْح ليلِ
وسنؤويهِ ونمضي
انه يتبعُنا في كل أرضِ

وله نحنُ نصلّي
وله نُفْرِغُ شكوانا من العيشِ المملِّ

* * *

انه الآنَ إلهُ
أو لم تَغْسِلِ مبانينا عليه قَدَمَيْها
انه يعلو ويُلْقي كنزَهُ بين يَدَيها
انه يمنحُنا الطينَ وموتاً لا نراهُ
من لنا الآنَ سواهُ ؟

(١٩٥٤)

المدينة التي غرقت

« مرثية لبغـــداد الجديدة التي
أغرقها فيضان عام ١٩٥٤ »

ورَاء السِداد التي ضمّدوا جُرْحها بالحصيرْ
وخلفَ صُفوفِ الصَرائفِ حيث يعيشُ الهجيرْ

* * *

يسيرُ طريقٌ تدثّر بالطـــينِ نحو المدينه
وأطلالِها حيثُ باتَ يعيش اصفرارُ السكينه

* * *

وحيثُ الشوارعُ باتتْ وحولاً ومُستنقَعات
وكانت تجيشُ وتزخر ساحاتُها بالحيـــاةْ

* * *

وكانت تهشّ وتضحَكُ للشمسِ كلّ صَباحْ
فباتَتْ يعشّشُ فيها الدُجى وصفيرُ الرِّياحْ

* * *

وكانت منازلهـــا المَرِحاتُ تُلاقي القَمَرْ
بضِحْكِ نوافذِها فاستكانتْ وصاحَ القَدَرْ

* * *

وجاء الخرابُ ومدّدَ رجلَيْهِ في أرْضِها
وأبصَرَ كيف تَنُوحُ البُيوتُ على بَعْضها

* * *

وحدّق فيها وأصغى إلى الصَرَخاتِ الأخيرَهْ
لسقفٍ هَوَى وتَداعى وشرفةِ حُبٍّ صغيرهْ

* * *

وأرسَلَ عينيهِ في نشوةٍ يرمُقُ الأبنيهْ
وقد ركعتْ في هوانٍ ذليلٍ بلا مرثيهْ

* * *

وجاء الخرابُ وسار بهيكلِهِ الأسودِ
ذراعاهُ تَطْوي وتَمْسَحُ حتى وعودَ الغَدِ

* * *

وأسنانُهُ الصُفْرُ تَقْضِمُ باباً وتمضَغُ شُرْفَهْ
وأقدامُهُ تطأ الوردَ والعُشْبَ من دونِ رأفهْ

* * *

وسار يَرُشُّ الرَدَى والتأكّلَ ملءَ المدينه
يخرِّبُ حيثُ يحلّ ويَنْشُرُ فيها العُفُونه

* * *

وفي الليلِ حينَ يجيءُ الشَذَى وضياءُ القَمَرْ
يهُبّ الخرَابُ ويضحَكُ نشوانَ بين الحُفَرْ

* * *

ويُرْسلُ ضحكتَهُ العصبيّةَ ملء الفضاءْ
فتنفر منه النجوم ويثقُلُ مسُّ الهـواءْ

* * *

وتنمو الخشونةُ حيثُ يلامسُ وجهَ الترابْ
وتُنْبِتُ أقدامُهُ طُحْلُباً لَزِجاً وذُبابْ

* * *

ويأتي الصباحُ ويختبىء الغولُ في مكمنِ
وتُخفيه مُسْتَنْقَعاتٌ فِساحٌ عـــن الأعينِ

* * *

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحَثُ عن أمسِها
وماذا تبقّى سوى الموتِ والمِلْح في كاسِها ؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

« ترجمة تصرف عن الشاعر
الفرنسي بروسبير بلانشمين »

انّهُ الشيخُ ربيعْ
ذلكَ الشيخُ المَرِحْ
ذو الثيابِ الُخضْرِ والوجه البديعْ
والجبينِ المُنْشرحْ
كلّما طافتْ خُطَى نيسانَ بالدُنيا أطلّ
من كُوَى غرفتِهِ عذْباً طروبا
هاتفاً : « أهلاً ، وسهلا ...

مرحباً نيسانُ ! قد حانَ لنا أن نظهرا
ونجوبَ الأرضَ ودياناً وبيداً وسهوبا
في رداءٍ أخضَرا . »

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ إلينا واطلْ مكْثَكَ فينا
عد الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

هذهِ خُطْوةُ نيسانَ على وجْهِ الحقولِ
شربَتْ أولَ بَسْمه
من شفاهِ الشمس ، والفجرُ على صدْر السُهولِ

لم يَزَلْ يُسْقَى نَدَى الليل ، وفي الغابات نَسْمه
نقلتْ إنشادَ عصفورٍ صغيرٍ :
« عِمْ صباحاً أيها الضوءُ ... » وردّ الآخرونْ
« حانتْ اليقْظَةُ فلنمرحْ رِفَاقي
في حمى الغابِ النضيرِ
ولنُغَنِّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونْ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكي منّا السّواقي . »

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ الينا وأطلْ مكثك فينا
عدْ الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

ويردُّ الشيخُ من غرفتِهِ عذْبَ المرَحْ :
« يا عصافيري لا تَعْجَلْنَ إنّـي أتزيّـنْ
بعد حينٍ أرتدي ثوبي الملوّنْ
كلّ لونٍ فيه من قوس قُزَحْ
كل خيطٍ وَتَرٌ من أغنيهْ
كلّ زرٍّ وردةٌ منتشيه
أمسِ أعطانيهِ خياطي ، لماذا
تتعجّلْنَ خروجي ؟ عَجَباً ما سرّ هذا ؟

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ الينا وأطِلْ مكثَكَ فيها
عُدْ الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعْ
يتمطّي قائماً ثُمّ يسيرْ
ويداه تنثرانِ الوردَ في المرج البديعْ
فوق أعشاش العصافير ، على شطّ الغديرْ
وله نعلانِ لا مِسْمارَ في كعبيهما
بل أزاهيرُ وأوراقٌ ، ومن لونيهما
تشرب الشمسُ وتَسْقي المغربا
قبلَ أن تَلْوي خُطاها وتضيعْ
في الذُرَى خَلْفَ الرُبَى

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ الينا وأطِلْ مكثَكَ فينا
عد الينا أيها الشيخ ربيعْ

(١٩٥٢)

البعث

أنا غَنّيتُ للظِـــلالِ وأعطَيْـ
تُ هوايَ المفتونَ للأشباحِ
وعبرتُ الحياةَ وسْنَى وشيّدْ
تُ قلاعاً جُدْرانها من رياحِ
وَعصَرْتُ الأوهامَ في قَبْضتي حِيـ
ناً وأهديتُ للطيوف صُدَاحي
وأخيراً أتيْتَ أنتَ وأسلـــمْ
تَ كؤوسي إلى شِفاهِ الصباحِ

نَغَمي كان جدولاً سُكّريّ الـ
ماء يَنْسابُ ليسَ يسقي العِطاشا

ضنّ أنْ تَسْبح العصافيرُ فيه
وأهانَ الضُحَى وصدّ الفَراشا

وورودي لّمتْ رحيقاً عبيريّـ
اً وآلتْ لا تمنَـــحُ الأحراشا

خزنتْ في عُروقها قَطَراتِ الـ
عِطْرِ بُخْــلاً بشهدها وانكماشا

* * *

أنتَ فجّرتَ أغنياتيَ ينبـــو
عَ حَنانٍ مشوّقَ القَطَراتِ

الفُقَاعاتُ فيه ضاقت بما يُثْـ
قلُها من حرارةٍ وحيـــاةِ

بحَثَتْ في تحــرّق وارتعاشٍ
عن شِفاهٍ أو أعينٍ عَطِشاتِ
لتَصُبّ الصباحَ فيها وتَسْقيـ
ـها كؤوساً مشغوفةَ الحافاتِ

* * *

وورودي الــتي تَغَصّ بما فيـ
ـها من العِطْرِ والرحيقِ الثمينِ
أنتَ أخجلْتَ في تموّجها الخصْـ
ـبِ عُبُوديّةَ العبيرِ السجينِ
أنتَ علّمتَ عِطْرَها سَكْرةَ التَجْـ
ـوالِ علّمْتَها اشتعالَ الحنينِ
أنتَ نبّهتَ غَفْوةَ الفُلّ في حَقْـ
ـلي وبُخْلَ البنفسَجِ المَفْتونِ

* * *

أنا أغلقتُ بابَ قلبي على كلّ
جمـــالٍ وكلّ خلْجَة شَوْقِ
وجعلْتُ الهوَى المُزَنْبق سراً
ضائع الحدّ في امتدادٍ وعُمْق
يا لسرٍّ غذيتُ كتمانَهُ قلـــ
ـبي،دمي، كلَّ قطرةٍ ، كلّ عِرْقِ
خفتُ أن يخدشَ النهارُ حواشيْـ
ـــه فأبقيتُهُ رهينةَ رِقّ

* * *

ذلكَ الحبّ لم أحدِّثْ به قطّ
غديراً أو رَبْـــوةً أو حقْلا
لم أصِفْه لتـــلّةٍ تُطْعِمُ الليـ
ـلَكَ من قلبها وتَسْقي الظلاّ

غرتُ أن تعرفَ العصافيرُ أسرا
ري فأسلمتُها السكونَ المُملاّ
لم أقُـلْ للغدير إنّكَ أصْفَى
وكتمتُ الضياءَ أنّـك أغْلى

* * *

يا هوىً ظلَّ شاحبَ الخدّ خجلا
نَ من الشمس خائفَ الألحانِ
يتوارى عن النجوم ويُخْفي
وجْـهَهُ عن زنابقِ الغُدْرانِ
ألحدتْ ذكرياتُـــهُ بخرير الـ
ـجدولِ العَذْب وانفعالِ الأغاني
وبَنى الصمتَ معبداً كَفَرَ المر
مـرُ فيـه ولاذَ بالكِتْمانِ

* * *

أنا لولاك كنتُ ما زلتُ سِرّاً
خافتَ اللحنِ باهتَ التلوينِ
أنتَ حرّرتَ ذلك الوَلَهَ الخصْ
بَ وأخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
جئتَ كالضَوْءِ فانحنى لكَ قيدي
وتلاشى توحّشي وجنوني
وأفاقَ الشعور ينفُضُ عارَ الـ
صَمْتِ عن سِرِّ قلبيَ المكنونِ

* * *

أنتَ علّمْتَ قلبيَ المُطْبق الكفِّ
سخاءَ النَدَى وبذْلَ اللهيبِ
أنتَ صيّرتَني هُتافةَ حبٍّ
ثرّةَ الوقْع بعد طول نُضوبِ

أنا غنّيتُ باسمكَ العذْبِ في كل
انحنــــاءٍ ومفْرَقٍ موهوبِ
لا تَلُمْني إذا ملأتُ بكَ الدنـ
ـيا فصاحت ْمعي: حبيبي،حبيبي!

(١٩٦٢)

اغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماماما
برّاقُ الحلوُ اللثغةِ يَنْوي النوما
والنومُ وراء الربوة هيّا حُلْما
والُحلْمُ له أجنحةٌ تَرقى النَجْما
والنجمُ له شَفَةٌ ويُحبّ اللَثْما
واللثمُ سيوقِظُ طفلي :
ماما ماما

* * *

بابا   بابا   بابا   بابا   بابابا
برّاق الغافي الساهي يسرِق قَلْبا
والقلبُ سيُمْرِعُ يُنْبتُ ورداً رَطْبا
والوردُ يَرُشّ المَهْدَ أريجاً عَذْبا
وأريجُ الوردِ لَعوبٌ يَهْوَى الوَثْبا
والوَثْبُ سيوقِظُ طفلي :
بابا   بابا

* * *

دادا   دادا   دادا   دادا   دادادا
الحقلُ مَشُوقٌ للخُضْرةِ لا يَهْدا
والخُضْرةُ خاويةٌ لا تملكُ وردا
والوردُ إلى الحُمْرةِ مرتعشٌ وجدا

والحمرةُ عند صغيري ثغراً خدّا
وسيُصْحي الوردُ صغيري :
دادا دادا[1]

(١٩٦٣)

---

(١) (ماما) تقرأ هكذا : « مَمّا » كما ينطقها الطفل العراقي وبذلك تجانس القوافي التالية . وكذلك (بابا) و (دادا) .

الى وردةٍ بيضاء

كنزَ البرودةِ والرحيقِ ومَخْبأ اللينِ العَطِرْ
يا من عُصِرْتِ من الثُلوجِ من الحليبِ من القَمَرْ
يا ضوءَ خدٍّ من حريرٍ أبيضٍ مـــلء النظَرْ
بيضاءُ يا مَلْقَـــى فَرَاشاتِ الربيعِ المُنْتَظَرْ
الشمسُ ودّتْ لو سَقيْتِ ضياءها مِنَحاً أُخَرْ
والفجرُ تابعُكِ الأمينُ يُريقُ ظلّكِ في النَهَرْ
يا مُلْتَقَى حبٍّ السّواقي والقنـــابرِ والشَجَرْ
واحسرتاهُ على البَشَرْ

مـــرّوا بكنزكِ سائلينْ
مسكينةٌ مـــا تملكينْ ؟

* * *

بيضاءُ : نحنُ أنا وأنتِ سنكتم السرَّ المُثيـــرْ
سرّي وسرّكِ لن نبوحَ به إلى الركْبِ الضريرْ
ماذا مَلَكْنا ؟ لا ضِياعَ ولا عبيدَ ولا قصورْ
لا شيءَ إلا رعشةَ القمرِ المُرَنّحِ في الغديرْ
وغناء أنسامِ المساءِ المُخْمَليّاتِ المرورْ
وصداقة العُصفور والفجرِ الملوّنِ والعبيرْ
ومودّة الشمسِ الحنون وقُبْلة المَطَر الغزيرْ
ووساد أَعشابٍ وثيرْ
وارحمتـــا للسائلينْ
وسؤالِهِمْ : ما تملكينْ ؟

(١٩٥٢)

الى الشعر

من بَخور المعابدِ في بابل الغابرهْ
من ضجيج النواعيرِ في فَلَوات الجنوبْ
من هتافات قُمْريّةٍ ساهره
وصدى الحاصدات يغنّين لحنَ الغروبْ
ذلكَ الصوتُ ، صوتُكَ سوف يؤوبْ
لحياتي ، لسمع السنينْ
مُثخناً بعبير مساءٍ حزينْ
أثقلتْهُ السنابِلُ بالأرَجِ النَشْوانْ ،

بصدىً شاعريّ غريبْ
من هُتافاتِ ضفدعةٍ في الدجى النعسان
يملأُ الليلَ والغدْرانْ
صوتُها المتراخي الرتيبْ

* * *

ذلك الصوتُ ، صوتُكَ سوف يؤوب
لحياتي ، لسَمْع المساءْ
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناءْ
قمريَّ العُذوبةِ فيه صَدىً من ليالي المطر
من هدوء غُصونِ الشجر
وهي تمتصّ سَكْرى ، رحيق السَماءْ
الرحيقُ الذى عطّرتْهُ الغيومْ
بالرؤى ، بتحايا النجومْ

* * *

سأجوبُ الوجودْ
وسأجمَعُ ذرّاتِ صوتِكَ من كل نَبْعٍ بَرودْ
من جبال الشّمالْ
حيث تهمسُ حتى الزنابقُ بالأُغنياتْ
حيثْ يحكي الصنوبرُ للزَمن الجوّالْ
قصصاً نابضاتْ
بالشَذى ، قصصاً عن غرامِ الظِلالْ
بالسواقي ، وعن أغنياتِ الذئابْ
لمياهِ الينابيعِ في ظُلَلِ الغاباتْ
عن وَقارِ المَراعي وفلسفة الجدْولِ المُنْسابْ
عن خَروفٍ يُحسّ اكتئاباً عميقْ
ويقضّي النَهارْ
يقضِمُ العُشْبَ والأفكارْ
مُغْرَقاً في ضَبابِ وجودٍ سحيقْ

* * *

وساجعُ ذرّاتِ صوْتِك من ضَحِكاتِ النعيمْ
في مساءٍ قديمْ
من أماسيِّ دِجلةَ يُثْقِلُ أجواءَهُ بالحنينْ
مرحُ الساهرينْ
يرشفونَ خريرَ المياهْ
وهي ترطمُ شاطئَهُمْ ، وضياءُ القَمَرْ
قَمَرِ الصيفِ يملأ جوّ المساءِ صُوَرْ
والنسيمُ يمرّ كلمس شِفاهْ
من بلادٍ أُخَرْ
ليلةٌ شهرزاديّةُ الأجواءْ
في دجاها الحنونْ
كلّ شيءٍ يُحسّ ويحلُمُ حتى السكونُ
ويهيم بحبٍّ الضياءْ

* * *

وسأسمَعُ صوتَكَ حيثُ أكونْ
في انفعال الطبيعةِ ، في لَحَظاتِ الجنونْ
حينَ تُثْقل رجعَ الرُعودْ
ألفُ أسطورةٍ عن شَبابِ الوجودْ
عن عصورٍ تَلاَشتْ وعن أُمَمٍ لن تعودْ
عن حكاياتِ صبيانِ (عادْ)
لصبايا (ثمودْ)
وأقاصيصَ غنّتْ بها شهرزادْ
ذلك الملكَ المجنونْ
في ليالي الشتاءْ
وسأسمَعُ صوتَكَ كلّ مَساءْ
حين يغفو الضياءْ
وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامْ
وينامُ الطموحُ تنامُ المُنَى والغَرَامْ

وتنامُ الحياةُ ، ويبقى الزَّمانْ
ساهراً لا يَنامْ
مثل صوتك ، ملء الدُّجى الوَسنانْ
صوتُكَ السهرانْ
في حنيني العميق
صوتك الأبديّ الذي لا يَنامْ
فهو يبقى معي سهرانْ
وأحسّ صداهُ الملوّنَ يملأ كل طريقْ
بالشَذَى بندى الألوانْ
صوتُكَ المجهولْ
أنا أدركتُ ـ يا فرحتا ـ سرّهُ المَعْسُولْ
أنا أدركتُهُ أنا وَحْدي وصمْتُ الزَّمانْ

(١٩٥٠)

النهر المغني

« ترجمة لقصيدة عنوانها **Avoca** للشاعر الانكليزي المعاصر كريسمس همفريس » .

ورَاء انعطافِ الرُبى والسُفُوحِ
هنالك نهرٌ شجيُ الضفّتينْ
يغنّي الدُجى وتخفّ الظِلالُ
إلى شطِّـــه من كلا القمّتَيْنْ
على قَدَمَـينِ من الياسمينِ
حَمَلْنَ اليـــهِ هَوَى التلّتينْ

وبلّغنَهُ قُبُلاتِ السُفوحِ
ورُبَّ حنينٍ بـــلا شَفتَـيْنْ

* * *

هنالكَ نهرٌ يسيلُ بعيــداً
وينصُبُ أشراكَهُ للقمرْ
ويركضُ ، نعْلاهُ من فضّةٍ
ومن قَطَراتِ ندىً من زَهَرْ
يخفّ إلى البحْر في لهفــةٍ
ويبحثُ فيه عـــن المُسْتَقَرْ
ليلْقى شواطئَ مسحورة
مبلْـــلة برَشاشِ المَطَرْ

* * *

هنالك نهـــرٌ يغنّي المَسَاءَ
بأردية من بريـــقِ النجومْ

يغنّي وليس سُدىً ما يُغنّي
فخلفَ الدُجى ووراءَ الغُيومْ
يُشيرُ الصبَاحُ نديّ الذِراعِ
إلى الفجر خلف الرُبى والتُخوم
ليفتحَ أبوابَـــه الغافياتِ
ويسمعَ هذا النشيدَ الرّخيم

(١٩٥٢)

ثلاث أغنيات شيوعية

– ١ –

إذا نَزَل الليلُ هذي الروابي فقم يا رفيقْ
نراقبُهُ من ثقوبِ الدُجى في السُكُون العميقْ
لعلّ الظلامَ يُعدّ مؤامرةً في الخفَـــاءْ
ويحبكُها مع ضوء النُجوم وصمْتِ المَسَاءْ
فهذي الروابي وذاك الطريقْ
وهذا الدُجى ، كلّهُمْ عُمَلاء

* * *

وسوف نفتّشُ حتى الأريجَ وحتّى المطرْ
نقلّبُ حتى خيوطَ الضياءِ ولونَ الزَهر
ونفضَحُ ما دبّرتْ كلّ جاسوسةٍ زَنْبَقه
وما روّجَتْهُ العصافيرُ بالرَقْصِ والزَقْزقه
وإنّا لنعلَمُ أنَّ القَمَرْ
تآمَرَ فلننصبِ المِشْنَقَه

* * *

رفيقي تعالَ لنسحقَ رجعيةَ الياسمينْ
وتزويرَ سوسنةٍ نَذْلةٍ وعريشٍ لعينْ
وتلكَ الينابيعُ انّ دسائسَها أبديّه
وهذا الأصيلُ يُذيعُ أراجيفه الغَسَقيّه
حَذارِ رفيقي فللوردِ دينْ
وهذا الشذَى روحُهُ عربيّه

- ٢ -

تحيّةً شقــائقَ النُعْمان
يا أختنَا الحمراء
يا شَفَـةً ساخنة الألوان
مترعـةً دمـــاءْ

* * *

أختاهُ أنتِ أشرفُ الورودْ
رمزَ الدمِ المُراَق
يا لونَ ما نُضْمِرُ من حُقُودْ
مُحْـرقـةِ الأشواقْ

* * *

وردتَنا الشريفـةَ الحمراءْ
يا رايةَ الكفــاحْ

يا حُمرة القتْلِ لكِ الدماءْ
فاغرةَ الجِـــراحْ

* * *

ان تظمأي فبالدمِ المُنعش
أختاهُ لا نبخلْ
هيهاتَ يا حمراءُ ان تَعطَشي
وثَمّ من نَقتُــــل

* * *

من أجل هذا اللون نُجري النجيـع
جداولاً تنثـــالْ
وباسمِـهِ نقتُـلُ حتى الربيـعْ
ونذَبحُ الأطفـالْ

* * *

يا شَفَـــةً تلمّظتْ بالدمِ
يا غلّـةً مُحْرِقه
بحِقدنا نُقسِمُ أن تَسلمي
يا وردةَ المشنقـه

* * *

والآن جئناكِ به فاحتَسي
من لونه المُغري
دمٌ كثيرٌ فاشبَعي وانعَسي
يا أختُ واحمرّي

- ٣ -

ظلمـــةٌ ، وخـزٌ ، صُراخٌ في وجودي
الرياحُ السودُ ملِحٌ في دمي فوقَ خُدودي

خنْجري أغمدُتهُ في رئتَيْ هذا الغُلامْ
وجززتُ الورْدَ من خدّيْهِ حبّاً للسّلامْ
فإذا أشلاؤه تصحو وتحيا من جديدِ
وأراهُ باسماً منتصباً تحت الظلامْ
ومن الآفاق ينهال دَوِيٌّ
عربيٌّ عربيٌّ عربيٌّ

* * *

ثم ماذا ؟ أصبح الدربُ أعاصيرَ وقَصْفا
الغلامُ الأرعنُ الغادر قد أصبحَ ألفا
هبطوا لم أدْرِ من أين : صبايا وشبابا
أوجهٌ أُسْقِيتِ السُمْرةَ والشمس شرابا
بَدّلوا أمني شُكوكاً ومحاذيرَ وخوْفا

وتهاوي حُلْمي الأحمرُ للأرض تُرابـــا
لاعنـــاً تسعين مليونَ محيا
عربيّـــاً عربيّـــاً عربيّـــا

١٩٥٩

الى ميسون

إن خَبَتْ أعينُ النجومْ وسجَتْ بَسْمةُ القمرْ
واختفتْ خُضْرةُ الكروم وذوى الوردُ وأنتــثرْ

كنتِ لي أنتِ كوكباً مُخْمَليّ الـ
لمسِ ينثالُ نبْعَ عطْرٍ وضوءِ
كان لي من بريقِ عينيكِ لونُ الـ
قمَرِ اللَّدْنِ في ليالي الدِفْءِ

كانَ وَحيي حكايةٌ منكِ فيها
من شَذى الوردِ ألفُ شيءٍ وشيء
كنتِ لي أنتِ يا بنفسجتي فجـ
ـرَ جمالٍ مُطلْسَمٍ غيرِ مَرْئي

وإذا أطفأ الزمانْ كلَّ حبٍّ حملتُه
وطوتْ ظلمةُ المكانْ كلَّ ضوءٍ شربتُه

كانَ لي من صفاءِ وجهكِ بدءٌ
لأغاني حُبٍّ وحبٍّ وحُبّ
ومن الكوكبينِ عينيكِ تنشقُّ
لعمري آثارُ ألفي دربِ
من بريقِ الجبينِ من ملمسِ الخدِّ
الحريريِّ من سوادِ الهُدْبِ

مَعبَرٌ للجَمالِ من شاطىءِ المجـــ
هولِ يُرْسي ائتلاقُهُ عند قَلْبي

(١٩٥٢)